

السنابل

المغامرات المثيرة

ثمانون يوماً حول العالم



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ (أ) ، شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة - مصر

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل

ص. ب : ٩٢٣٢ - ١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٧

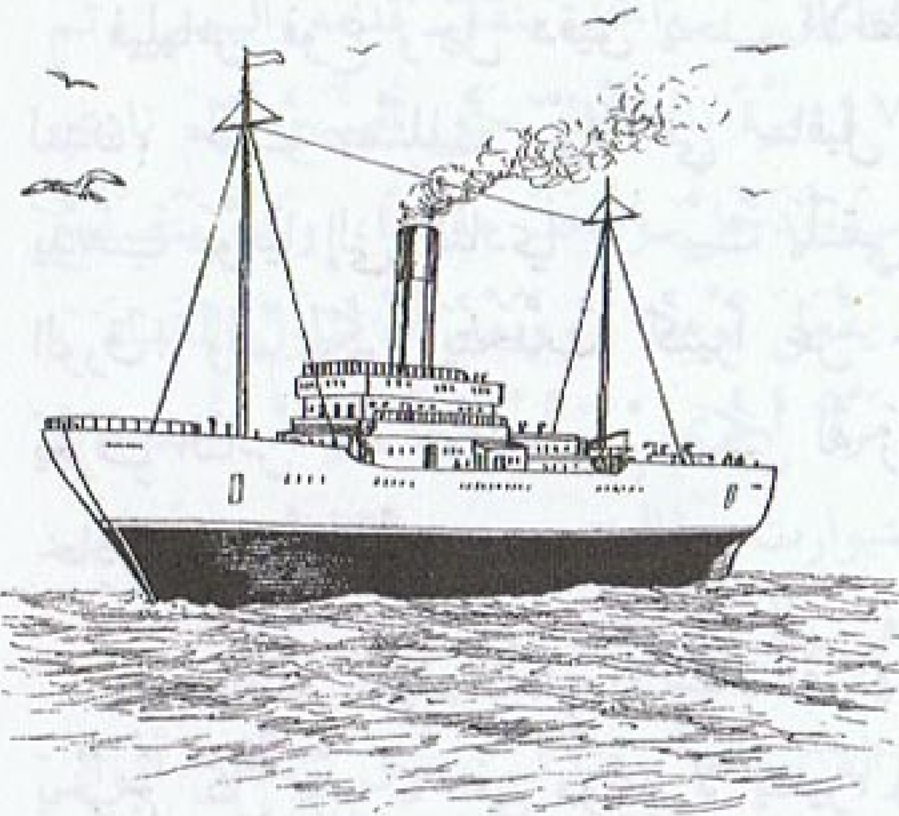
رقم الإيداع ٧٥١٠ / ١٩٩٣
الترقيم الدولي ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠١٣٨ - ٥

طبع في دار نوبار للطباعة ، القاهرة



المغامرات المثيرة

ثمانون يوماً حول العالم



تأليف : جول ڤيرن

نقلتها إلى العربية : نادية فريد عبد الرحمن

رسوم : ممدوح الفرماوي

مكتبة لبنان ناشرون

الفصلُ الأوّلُ

فيلياس فوغ رَجُلٌ دَقيقٌ يُحِبُّ الانْضِباطَ . وَكانَ يَعيشُ في لندن، حَيْثُ يَمْتَلِكُ مَنْزِلاً في ساڤيل رو . وَكانَ يُحِبُّ أنْ يَذْهَبَ يوميًا إلى النّادي ، حَيْثُ يَلْتَقي أصْدِقاءَهُ وَيَلْعَبُ مَعَهُمُ الورقَ. وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَدَّثُ كثيراً عَنْ حَياتِهِ الخاصّةِ ؛ لِذا لَمْ يَعْرِفِ النّاس عَنْهُ شيْئًا . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلا أوْلادٌ، بِاسْتِثْناءِ خادِمٍ يَعيشُ مَعَهُ .

وَقَدِ اعْتادَ القِيامَ بِأداءِ الأشْياءِ نَفْسِها في مَوْعِدٍ ثابِتٍ ، فَهُوَ يَخْرُجُ كُلَّ يومٍ ، في مَوْعِدٍ لا يَتغيَّرُ، وَيَعودُ إلى مَسْكَنِهِ كَذَلِكَ في مَوْعِدٍ لا يَتَغيَّرُ ، مِمّا يَجعَلُ مُهِمَّةَ الخادِمِ الّذي يَعْمَلُ لَدَيْهِ يَسيرةً سَهْلَةً .

كانَ خادِمُ فوغ الجَديدُ فَرَنْسِيًا ، يُدْعى پاسپارتو، وَيَتَمَيَّزُ بِقُوَّةِ البُنْيانِ ، وَيَسْتَطيعُ القَفْزَ جيِّداً ، وَيُجيدُ رُكوبَ الحَيَواناتِ .

كانَ پاسپارتو يَتَطَلَّعُ إلى حَياةٍ هادِئَةٍ . وَحَدَثَ أنْ سمعَ عَنْ فوغ وَانْضِباطِهِ، وَهُوَ يُحِبُّ هذا النَّوْعَ مِنَ الرِّجالِ؛ لِذا قَبِلَ مَسْروراً أنْ يَكونَ خادِماً لِفيلياس فوغ .

في تَمامِ السّاعَةِ الحادِيَةَ عشْرَةَ وَالنِّصْفِ ، غادَرَ فوغ مَنْزِلَهُ وَتَوَجَّهَ إلى نادي « ريفورم » ، وَتَرَكَ پاسپارتو وَحيداً في المَنْزِلِ .

سارَ فوغ قُدُمًا في الطَّريقِ ، وَأخَذَ يَنْقُلُ قَدَمَهُ اليُمْنى ثُمَّ اليُسْرى ، وَقامَ بِذلِكَ ٤٧٥ مَرَّةً بِالضَّبْطِ حَتّى أصْبَحَ أمامَ نادي « ريفورم » ، فَفَتَحَ الباب وَدَخَلَ وَاتَّخَذَ مَقْعَداً، وَبَدأَ يَتَصَفَّحُ الجرائِدَ ، كَما اعْتادَ أنْ يَفْعَلَ يَومِيًا . وَبَعْدَ أنْ تَناوَلَ الغَداءَ ، اسْتَأنَفَ قِراءَةَ الصُّحُفِ مَرَّةً أخْرى . ثُمَّ بَدَأَ تَوافُدُ أصْدِقائِهِ الخَمْسَةِ : فلاناجان وَستيوارت وَڤالينتين وَسوليڤان ، وَرالف الّذي يَشْغَلُ مَنْصِباً مُهِمّاً في بَنْكِ إنْجِلْترا .

الْتَفَتَ فلاناجان نَحْوَ رالف قائِلاً: « ألَمْ يَسْرِقْ شَخْصٌ أموالَ البَنْكِ الّذي تَعْمَلُ بِهِ ؟ أخبِرْنا عَنْ هذا الأمْرِ.»

كانَ الخَبَرُ صَحيحاً بِالفِعْلِ ؛ إذْ حَدَثَ أنِ اسْتَوْلى شَخْصٌ عَلى خَمْسَةٍ وَخَمْسينَ ألْفَ جُنَيْهٍ مِنَ البَنْكِ، ثُمَّ فَرَّ بِالنُّقودِ ، وَرآهُ بَعْضُ النّاسِ إلا أنَّهُمْ لَمْ يَتَمكَّنوا مِنَ الإمْساكِ بِهِ .

قالَ ستيوارت مُعَقِّبًا: « بلى ، حدَثَ ذَلِكَ فِعْلاً ، وَسَيَخْسَرُ البَنْكُ تِلْكَ الأمْوالَ . »

قالَ رالف: « لا ، لَنْ يَخْسَرَ البَنْكُ تِلْكَ النُّقودَ؛ فَإنَّ رِجالَ الشُّرْطَةِ يَبْحَثونَ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَسَيَعْثُرونَ عَلَيْهِ . قَدْ يَذْهَبُ إلى بَلَدٍ آخَرَ ، وَلَكِنَّ الشُّرْطَةَ حَتْمًا سَتَعْثُرُ عَلَيْهِ هُناكَ أيْضاً . »

قالَ فيلياس فوغ : « ذَكَرَتِ الصُّحُفُ أنَّ الرَّجُلَ كانَ يَرْتَدي مَلابِسَ ثَمينَةً ؛ فَقَدْ رَآهُ بَعْضُ الأشْخاصِ في البَنْكِ ، وَيُمْكِنُهُمْ وَصْفُ مَلابِسِهِ ، فَهُوَ يَبْدو كَما لَوْ كانَ رَجُلاً ثَرِيًّا ، كَما أنَّهُ يَتَحَدَّثُ الإنْجِليزِيَّةَ بِطَلاقَةٍ . »

قالَ رالف : « سُرْعانَ ما سَيَعْثُرونَ عَلَيْهِ ؛ فَالعالَمُ صَغيرٌ . »

أجابَهُ ستيوارت : « إنَّ العالَمَ لَيْسَ صَغيرًا إلى هَذا الحَدِّ . »

ثُمَّ جَلَسوا جَميعًا حَوْلَ إحْدى المَوائِدِ ، وَبَدَءوا في لَعِبِ الوَرَقِ . وَما إنِ انْتَهَتْ دَوْرَةُ اللَّعِبِ حَتّى اسْتَأْنَفَ ستيوارت الحَديثَ قائِلاً: « إنَّ العالَمَ لَيسَ صَغيرًا جِدًّا ؛ إذْ يُمْكِنُنا أنْ نَدورَ حَوْلَهُ خِلالَ ثَلاثَةِ أشْهُرٍ ، لَكِنْ... »

قاطَعَهُ فيلياس فوغ قائِلاً : « خِلالَ ثَمانينَ يَوْمًا فَقَطْ . »

قالَ سوليفان : « نَعَمْ ، في ثَمانينَ يَوْمًا ، إنَّها كافِيَةٌ تَمامًا ؛ فَخَطُّ السِّكَكِ الحَديدِيَّةِ قَدِ اسْتُكْمِلَ الآنَ في الهِنْدِ ، وَانْتَهى الرِّجالُ مِنَ الخَطِّ الَّذي يَصِلُ ما بَيْنَ روثال والله آباد ، وَتَمَّ افْتِتاحُهُ بِالفِعْلِ . وَهَكَذا يُمْكِنُ لِلْقِطاراتِ أنْ تَعْبُرَ الهِنْدَ بِسُهولَةٍ وَيُسْرٍ ؛ لِذا فَإنَّ ثَمانينَ يَوْمًا كافِيَةٌ . وَقَدْ أوْرَدَتْ إحْدى الصُّحُفِ جَدْوَلاً زَمَنِيًّا لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ ، وَها هُوَ ذا:

مِنْ لَنْدَنَ إلى السُّوَيْسِ بِالسِّكَكِ الحَديدِيَّةِ وَالباخِرَةِ	٧ أيّامٍ
مِنَ السُّوَيْسِ إلى بومباي بِالباخِرَةِ	١٣ يَوْمًا
مِنْ بومباي إلى كَلْكَتّا بِالسِّكَكِ الحَديدِيَّةِ	٣ أيّامٍ
مِنْ كَلْكَتّا إلى هُونْغ كُونْغ بِالباخِرَةِ	١٣ يَوْمًا
مِنْ هُونْغ كُونْغ إلى يوكوهاما في اليابانِ بِالباخِرَةِ	٦ أيّامٍ
مِنْ يوكوهاما إلى سان فرانْسيسْكو بِالباخِرَةِ	٢٢ يَوْمًا
مِنْ سان فرانْسيسْكو إلى نيويورك بِالسِّكَكِ الحَديدِيَّةِ	٧ أيّامٍ
مِنْ نيويورك إلى لَنْدَنَ بِالباخِرَةِ وَالقِطارِ	٩ أيّامٍ . »

قالَ ستيوارت: « نَعَمْ ، إنَّها ثَمانونَ يَوْمًا بِالضَّبْطِ ، وَلَكِنَّكَ أغْفَلْتَ مَثَلاً عامِلَ الطَّقْسِ السَّيِّئِ؛ فَقَدْ تَهُبُّ بَعْضُ الرِّياحِ

القَوِيَّةِ ، كَما أنَّ البَواخِرَ قَدْ تَتَأخَّرُ في الوُصولِ، وَقَدْ تَشْتَعِلُ القِطاراتُ أوْ تَخْرُجُ عَنْ مَسارِها ؛ لِذا نَجِدُ أنَّ مِنَ المُحْتَمَلِ حُدوثَ ظُروفٍ ، يُمْكِنُ أنْ تَعوقَ الإنْسانَ عَنِ القِيامِ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ خِلالَ ثَمانينَ يَوْماً، بَلْ إنَّهُ قَدْ يَموتُ أيْضاً ، وَعِنْدَئِذٍ لَنْ يَنْجَحَ في العَوْدَةِ خِلالَ ثَمانينَ يَوْماً .»

قالَ فوغ : « بَلْ يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ القِيامُ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ ؛ فَبِإمْكانِهِ دائِماً أنْ يَجِدَ مَخْرَجاً .»

قالَ ستيوارت: « وَلَكِنْ رُبَّما يَنْزِعُ الهُنودُ خُطوطَ السِّكَكِ الحَديدِيَّةِ ، وَعِنْدَئِذٍ لَنْ يَتَمَكَّنَ القِطارُ مِنَ السَّيْرِ، وَمِنْ ثَمَّ لَنْ يَنْجَحَ هَذا الشَّخْصُ في العَوْدَةِ مَرَّةً أخْرى خِلالَ ثَمانينَ يَوْماً .»

اِسْتَطْرَدَ فوغ قائِلاً : « لا يَهُمُّ ؛ فَهُوَ يَسْتَطيعُ القِيامَ بِهَذا العَمَلِ .»

قالَ ستيوارت: « إنَّهُ يَحْتاجُ لأكْثَرَ مِنْ ثَمانينَ يَوْماً .»

قالَ فوغ في إصْرارٍ: « أنا أسْتَطيعُ أنْ أقومَ بِذَلِكَ في ثَمانينَ يَوْماً. تَعالَ مَعي ، فَيُمْكِنُنا أنْ نَذْهَبَ مَعاً .»

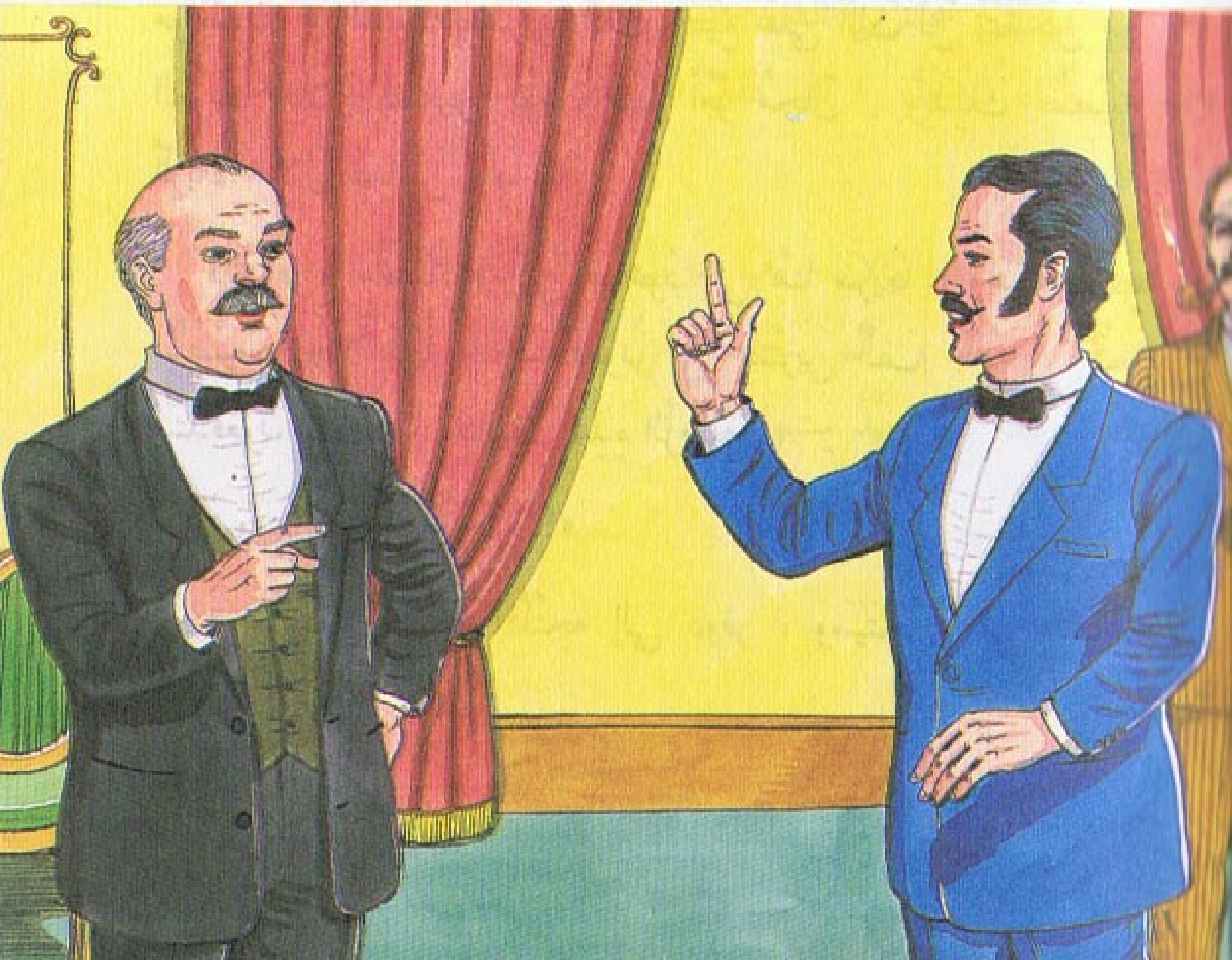
قالَ ستيوارت: « إنَّهُ أمْرٌ مُحالٌ !»

رَدَّ فوغ : « بَلْ إنَّهُ مُمْكِنٌ، وَأنا أسْتَطيعُ القِيامَ بِهِ. أ تُراهِنُ عَلى ذَلِكَ ؟»

أجابَ ستيوارت: « أُراهِنُ بِمَبْلَغِ أرْبَعَةِ آلافِ جُنَيْهٍ .»

رَدَّ فوغ : « أرْبَعَةُ آلافِ جُنَيْهٍ فَقَطْ ؟ إنَّني أراهِنُ بِمَبْلَغِ عِشْرينَ ألْفَ جُنَيْهٍ، وَهِيَ كُلُّ ما أدَّخِرُهُ مِنْ مالٍ في البَنْكِ .»

« عِشْرونَ ألْفَ جُنَيْهٍ ! وَلَكِنْ قَدْ يَفوتُكَ قِطارٌ أو باخِرَةٌ ؛ وَعِنْدَئِذٍ سَتَخْسَرُ عِشْرينَ ألْفَ جُنَيْهٍ وَتُصْبِحُ فَقيراً .»



أجابَ فوغ : « إنَّني لَنْ أخسِرَ، وَثَمانونَ يَوْماً كافِيَةٌ تَماماً بِالنِّسْبَةِ لي ، فَهِيَ تَعْني ١٩٢٠ ساعَةً ؛ أيْ ١١٥٢٠٠ دَقيقَةٍ . وَإنَّني أُراهِنُ بِمَبْلَغِ عِشْرين ألْفَ جُنَيْه ، عِلْماً بِأنَّني لا أُراهِنُ ستيوارت فَقَطْ ، وَلكِنَّني أُراهِنُكُمْ أيْضاً ، أيُّها الأصْدِقاءُ الخَمْسَةُ، وَذلِكَ شَريطَةَ أنْ تَتَحَمَّلوا كُلَّ تَكاليفِ رِحْلَتي ، بِالإضافَةِ إلى مَبْلَغِ عِشْرين ألْفَ جُنَيْه أيْضاً، قيمَةَ الرِّهانِ . فَهَلْ تُوافِقونَ على ذلِكَ ؟»

تَبادَلَ الرِّجالُ الخَمْسَةُ المُشاوَراتِ ، ثُمَّ قالوا مُتَّفِقين : « إنَّنا مُوافِقونَ، وَنُراهِنُكَ بِعِشْرين ألفَ جُنَيْه على أنَّكَ لَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ العَوْدَةِ خِلالَ ثَمانينَ يَوْماً، فَهُوَ أمْرٌ مُحالٌ . وَبِذلِكَ سَنُصْبِحُ أثْرِياءَ خِلالَ ثَمانينَ يَوْماً !»

قالَ فوغ مُعَقِّباً: « إنَّني سَأعودُ إلى هُنا سَريعاً ، وَعَمّا قَريبٍ سَأُصْبِحُ رَجُلاً ثَرِيّاً ، وَسَتَدْفَعونَ لي عِشْرينَ ألْفَ جُنَيْه ، كَما سَتَدْفَعونَ لي أيْضاً تَكاليفَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ .»

« وَمَتى سَتَبْدَأ الرِّحْلَةَ ؟»

« سَأسْتَقِلُّ القِطارَ المُتَّجِهَ إلى دوفر ، وَسَيَتَحَرَّكُ في السّاعَةِ التّاسِعَةِ إلا رُبْعاً .»

« هَذا المَساءَ ؟»

أجابَ فوغ : « نَعَمْ ، هَذا المَساءَ . وَاليَوْمُ هُوَ الثّاني مِنْ شَهْرِ أكتوبر؛ لِذا يَجِبُ أنْ أعودَ إلى هُنا في الحادي وَالعِشْرين مِنْ شَهر ديسمبر ، في تَمامِ السّاعَةِ التّاسِعَةِ إلا رُبْعاً . وَلكِنْ مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ أتَأخَّرَ، وَعِنْدَئِذٍ سَأخْسَرُ عِشْرينَ ألْفَ جُنَيْه هِيَ كُلُّ ما أمْلِكُ . إلا أنَّني لا أعْتَقِدُ أنَّني سَأتَأخَّرُ، وَبِذلِكَ سَأحْصُلُ عَلى نُقودِكُمْ .»

كانَ فوغ ، في حَقيقَةِ الأمْرِ ، يَمْتَلِكُ أرْبَعينَ ألْفَ جُنَيْه، يَحْتاجُ مِنْها إلى عِشْرينَ ألْفَ جُنَيْه لِمُواجَهَةِ تَكاليفِ القِطاراتِ وَالبَواخِرِ أثْناءَ الرِّحْلَةِ ؛ لِذا فَقَدِ احْتَفَظَ بِنِصْفِ نُقودِهِ وَراهَنَ بِالنِّصْفِ الآخَرِ.

أضافَ فوغ : « وَالآنَ ، هَيّا بِنا نَلْعَبُ الوَرَقَ ، فَالوَقْتُ يَسْمَحُ لَنا بِجَوْلَةٍ أُخْرى ، ثُمَّ يَتَحَتَّمُ عَلَيَّ بَعْدَ ذلِكَ أنْ أنْصَرِفَ . أرْجوكَ أنْ تَبْدَأ ، يا سَيِّدُ ستيوارت .»

الفصلُ الثاني

غادرَ فيلياس فوغ النّاديَ بَعْدَ جَوْلَةٍ لَعِبِ الورَقِ ، وَ وَصلَ إلى مَنْزِلِه في السّاعَةِ التّاسِعَةِ إلا عَشَرَ دَقائِقَ ، الأمرُ الّذي أدْهَشَ خادِمَهُ كَثيراً ؛ حَيْثُ إنَّ السّيِّدَ فوغ وَصلَ مُبكِّرًا عَنْ مَوْعِدِه .

بادَرَ فوغ خادِمَهُ بِقَوْلِه: « إنّنا سَنَتَوجَّهُ إلى دوفر وَكاليه، وَسنَرْحَلُ خِلالَ عَشْرِ دَقائِقَ؛ لِنَقومَ معًا بِرِحْلَةٍ حَوْلَ العالَمِ .»

اِتَّسعَتْ حَدَقَتا پاسپارتو مِنْ شِدَّةِ الدَّهْشَةِ ، ثُمَّ صَرَخَ مُتَسائِلاً: « حَوْلَ العالَمِ ؟»

« نَعَمْ ، وَخِلالَ ثمانينَ يَوْماً . فَإنَّني راهَنْتُ عَلى ذَلِكَ ؛ لِذا يَجِبُ ألا نُضَيِّعَ دَقيقَةً واحِدَةً . وَيَكْفي أنْ تَضَعَ بَعْضَ المَلابِسِ في حَقيبَةٍ ؛ فَيُمْكِنُنا أنْ نَبْتاعَ ما نَحْتاجُ إلَيْه أثْناءَ رِحْلَتِنا .»

عَقَدَتِ الدَّهْشَةُ لِسانَ پاسپارتو، وَانْهارَ عَلى أَحَدِ المَقاعِدِ بَعْدَ

أنْ تَبيّنَ أنّهُ سَيَرحَلُ عَنْ مَنْزِلِه اللَّطيفِ . وَهَمَسَ قائِلاً لِنَفْسِهِ : « ما أشَقَّ ذَلِكَ عَلى نَفسي ! لَقَدْ كُنْتُ أتطَلَّعُ إلى حَياةٍ هادِئَةٍ .»

ذَهَبَ پاسپارتو لِلْبَحْثِ عَنْ حَقيبَةٍ ، وَهُوَ يُفَكِّرُ في تِلْكَ الرِّحْلَةِ المُزْمَعِ القِيامُ بِها حَوْلَ العالَمِ ، وَما إنْ وَجَدَها حَتّى وَضَعَ بِها بَعْضَ المَلابِسِ ، ثُمَّ أخَذَها إلى فوغ ، الّذى وَضَعَ بِها مَبْلَغًا مِنَ المالِ ، ثُمَّ أعادَ الحَقيبَةَ إلى خادِمِه قائِلاً :

« كُنْ حَريصاً ، وَالزَمِ الحَذَرَ؛ فَالحَقيبَةُ الآنَ تَحْتَوي عَلى عِشْرينَ ألفَ جُنَيْهٍ .»

كادَتِ الحَقيبَةُ تَسقُطُ مِنْ يَدِ پاسپارتو . وَسَرْعانَ ما تَوَجَّها مَعًا إلى مَحطَّةِ السِّكَكِ الحَديدِيَّةِ ، حَيْثُ قابَلَ فوغ أصْدِقاءَهُ الخَمْسَةَ هُناكَ ، فَبادَرَهُمْ بِقَوْلِه:

« إنّني سَأعودُ بَعْدَ ثَمانينَ يَوْمًا ، وَأرْجو أنْ تُقابِلوني في اليَوْمِ الحادي وَالعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ ديسمبِرِ القادِمِ ، عَلى أنْ يَتِمَّ هَذا اللِّقاءُ السّاعَةَ التّاسِعَةَ إلا الرُّبْعَ في مَبْنى النّادي .»

صَعِدَ فوغ إلى القِطارِ، وَحَذا پاسپارتو حَذْوَهُ . وَفي السّاعَةِ التّاسِعَةَ إلا رُبْعاً غادَرَ القِطارُ المَحطَّةَ .

كانَ الظَّلامُ حالِكًا وَالأمْطارُ تَنْهَمِرُ، وَفَجْأةً أطْلَقَ پاسپارتو

صَرْخَةَ أسىً ؛ فَسأَلَه فوغ : « ما الأمْرُ ؟ »

« نَسيتُ أنْ أغْلِقَ صُنْبورَ الغازِ في حُجْرَتي ! فَما زالَ المَوْقِدُ مُشْتَعِلاً فيها . »

قالَ فوغ : « لا يَهُمُّ ؛ لأنَّكَ سَتَدْفَعُ تكاليفَ هذا الغازِ . »

أجابَ پاسپارتو في أسىً : « لِمُدَّةِ ثَمانينَ يَوْماً ؟ وَلَكِنْ قَدْ تَشْتَعِلُ النّيرانُ في المَنْزِلِ ! »

* * *

نَشَرَتِ الصُّحُفُ قِصَّةَ رِحْلَةِ فوغ ، وَقَدْ راهَنَ بَعْضُ النّاسِ لِصالِحِهِ ، وَلَكِنَّ عَدَداً كَبيراً راهَنَ ضِدَّهُ .

وَلَمْ يَلْبَثْ أنْ وَصَلَ خِطابٌ إلى لَنْدَن ، وَكانَ هَذا الخِطابُ مُرْسَلاً مِنَ السُّوَيْس ، وَهَذا نَصُّهُ :

« مِنَ السُّوَيْسِ إلى لَنْدَن :

« وَجَدْتُ لِصَّ البَنْكِ . إنَّهُ هُنا في السُّوَيْسِ ، وَاسْمُهُ فيلياس فوغ ، وَلا أسْتَطيعُ القَبْضَ عَلَيْهِ بِدونِ إذْنٍ مِنَ النِّيابَةِ . أرْجو سُرْعَةَ إرْسالِ تَفْويضٍ لي بِالقَبْضِ عَلَيْهِ ، عَلى أنْ يَتِمَّ إرْسالُهُ إلى بومباي لا إلى السُّوَيْسِ ؛ لأنَّ هَذا الشَّخْصَ ، وَكَذَلِكَ أنا ،

سَنَصِلُ إلى بومباي في القَريبِ العاجِلِ ، وَيُمْكِنُني حينَئِذٍ أنْ أقْبِضَ عَلَيْهِ هُناكَ . أرْجو عَدَمَ إضاعَةِ الوَقْتِ .

المُخْبِر: فيكس »

كانَ المُخْبِرُ فيكس يَعْمَلُ مَعَ الشُّرْطَةِ البريطانيَّةِ في البَحْثِ عَنْ لِصِّ البَنْكِ ، وَقَدْ أمَدّوه بِقُصاصَةٍ مِنَ الوَرَقِ تَتَضَمَّنُ وَصْفاً لِلِصِّ البَنْكِ . وَكانَ اللِّصُّ يُشْبِهُ فوغ إلى حَدٍّ كَبيرٍ ؛ فَهُوَ يَتَحَدَّثُ الإنْجليزيَّةَ بِطَلاقَةٍ وَكَذَلِكَ فوغ ، كَما أنَّ اللِّصَّ حَسَنُ الهِنْدامِ ، وَمَلابِسَ فوغ مَظْهَرُها حَسَنٌ أيْضاً ، بِالإضافَةِ إلى أنَّ فوغ غادَرَ إنْجِلْترا فَجْأةً كَاللِّصِّ . وَلَمّا رَآهُ فيكس في السُّوَيْسِ أرادَ أنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ لِعَدَمِ حُصولِهِ عَلى إذْنٍ مِنَ النِّيابَةِ ، وَلِذَلِكَ بَعَثَ بِرِسالَتِهِ إلى لَنْدَن .

وَصَلَتْ باخِرَةُ فوغ إلى السُّوَيْسِ ، فَأسْرَعَ بِكِتابَةِ الأسْطُرِ التّالِيَةِ في مُفَكِّرَتِهِ :

« غادَرْتُ لَنْدَن في الثّاني مِنْ شَهْرِ أكْتوبَر ، وَ وَصَلْتُ إلى باريس في الثّالِثِ مِنْ أكْتوبَر ، وَغادَرْتُها في اليَوْمِ نَفْسِهِ ، وَ وَصَلْتُ إلى تورين في الرّابِعِ مِنْ أكْتوبَر ، ثُمَّ غادَرْتُها في اليَوْمِ نَفْسِهِ مُتَّجِهاً إلى برينديسي ، الَّتي وَصَلْتُ إلَيْها في الخامِسِ

مِنْ أكْتوبَر، ثُمَّ غادَرْتُها عَنْ طَريقِ البَحْرِ مُتَّجِهاً إلى السُّوَيْسِ ، فَوَصَلْتُ في التّاسِعِ مِنْ أكْتوبَر . وَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ السّاعاتِ المُنْقَضِيَةِ حَتّى الآنَ ١٥٨ ساعَةً وَنِصْفَ السّاعَةِ ؛ أيْ ما يُعادِلُ سِتَّةَ أيّامٍ وَنِصْفًا .»

كانَ فوغ يَشْعُرُ بِالسَّعادَةِ الغامِرَةِ لِهَذِهِ النَّتيجَةِ ، فَهُوَ وَإنْ لَمْ يَكُنْ مُتَقَدِّمًا إلا أنّهُ لَمْ يَكُنْ أيْضاً مُتَأخِّرًا .

لَمْ يُغادِرْ فوغ الباخِرَةَ في السُّوَيْسِ ، وَلَكِنَّ فيكس قابَلَ باسبارتو في المَدينَةِ ، حَيْثُ تَبادَلَ الحَديثَ مَعَ رَفيقِ الرِّحْلَةِ الطَّيِّبِ قائِلاً لَهُ: « هَلْ تُحِبُّ أنْ تَتَجَوَّلَ في المَدينَةِ ؟»

أجابَهُ باسبارتو: « نَعَمْ ، وَلَكِنَّنا في عَجَلَةٍ مِنْ أمْرِنا ، وَلا وَقْتَ لَدَيْنا. إنَّ الأمْرَ يَبْدو لي كَالحُلْمِ ، فَهَلْ نَحْنُ في إفْريقِيَّةَ حَقًّا ؟»

« نَعَمْ ، إنَّها إفْريقِيَّةُ .»

« إذًا أنا في إفْريقِيَّةَ الآنَ! وَقَدْ ذَهَبْتُ إلى باريس أيْضاً، وَلَكِنَّني قَضَيْتُ هُناكَ وَقْتًا قَصيرًا ؛ إذْ وَصَلْتُ إلَيْها في السّاعَةِ السّابِعَةِ وَعِشْرينَ دَقيقَةً ، وَغادَرْتُها في السّاعَةِ التّاسِعَةِ إلا عِشْرينَ

دَقيقَةً ، وَلِهَذا لَمْ أُشاهِدْ مِنْ هَذِهِ المَدينَةِ العَظيمَةِ سِوى المَناطِقِ الَّتي تَقَعُ ما بَيْنَ المَحَطَّتَيْنِ فَقَطْ .»

سَأَلَهُ فيكس: « هَلْ أنْتَ الآنَ في عَجَلَةٍ مِنْ أمْرِكَ ؟»

« إنَّني لَسْتُ مُتَعَجِّلاً، وَلَكِنَّ سَيِّدي يَحْتاجُ لِبَعْضِ المَلابِسِ ، لأنَّنا غادَرْنا إنْجِلْترا في عَجَلَةٍ شَديدَةٍ ، وَلَمْ نَأخُذْ مَعَنا سِوى حَقيبَةٍ واحِدَةٍ فَقَطْ .»

الفصلُ الثّالِثُ

اِصْطَحَبَ فيكس پاسپارتو إلى أحَدِ المَتاجِرِ، حَيْثُ ابْتاعَ بَعْضَ المَلابِسِ، ثُمَّ نظَرَ پاسپارتو إلى ساعَتِهِ الكَبيرَةِ قائِلاً: « يَجِبُ ألا أتأخَّرَ عَنِ الباخِرَةِ، فَالسّاعَةُ الآنَ العاشِرَةُ إلا ثَماني دَقائِقَ، ولا يَزالُ المَوْقِدُ مُشْتَعِلاً في المَنْزِلِ .»

قالَ لَهُ فيكس : « إنَّ ساعَتَكَ مُخْطِئَةٌ، فَالسّاعَةُ الآنَ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ .»

رَدَّ عَلَيْهِ پاسپارتو: « ساعَتي لا تُخْطِئُ مُطْلَقاً، وَهِيَ تُشيرُ الآنَ إلى العاشِرَةِ تَقْريباً .»

قالَ لَهُ المُخْبِرُ: « إنَّ هذا هُوَ تَوْقيتُ لَنْدَن، لأنَّ التَّوْقيتَ فيها مُتَقَدِّمٌ ساعَتَيْنِ عَنْ هُنا، وَعَلَيْكَ أنْ تَقومَ بِضَبْطِ ساعَتِكَ في كُلِّ مَدينَةٍ مُخْتَلِفَةٍ .»

صاحَ پاسپارتو: « ماذا ؟ أَضْبِطُ ساعَتي ؟ لا !»

« إذا لَمْ تَضْبِطْ ساعَتَكَ فَإنَّها سَتَخْتَلِفُ عَنِ التَّوْقيتِ الصَّحيحِ بِالنِّسْبَةِ لِلشَّمْسِ .»

قالَ پاسپارتو: « في هَذِهِ الحالَةِ تَكونُ الشَّمْسُ هِيَ المُخْطِئَةَ !»

ضَحِكَ فيكس ثُمَّ سَأَلَهُ: « هَلْ غادَرْتَ لَنْدَن فَجْأَةً ؟»

« نَعَمْ، رَحَلْنا فَجْأَةً يَوْمَ الأرْبِعاءِ الماضي ؛ لأنَّ سَيِّدي يَقومُ بِرِحْلَةٍ حَوْلَ العالَمِ، وَيَقولُ إنَّهُ راهَنَ عَلى القِيامِ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ، وَلكِنَّني لا أُصَدِّقُ ذَلِكَ .»

قالَ المُخْبِرُ: « هَلْ سَيِّدُكَ ثَرِيٌّ ؟»

« أَعْتَقِدُ ذَلِكَ، فَهُوَ يَحْمِلُ مَعَهُ مَبْلَغاً كَبيراً مِنَ المالِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِبَذْخٍ، وَقَدْ يَعْرِضُ مَبْلَغاً مِنَ المالِ عَلى مُهَنْدِسِ الباخِرَةِ مِنْ أَجْلِ أنْ يُسْرِعَ في الوُصولِ إلى بومباي .»

سَأَلَهُ فيكس: « أيُّ مُهَنْدِسٍ ؟»

« مُهَنْدِسُ الباخِرَةِ « منغوليا » — باخِرَتِنا .»

قالَ فيكس مُتَسائِلاً: « مَتى قابَلْتَ سَيِّدَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ؟»

« قابَلْتُهُ في الثّاني مِنْ أكْتوبَر، وَغادَرْنا إنْجِلْترا في اليَوْمِ

نَفْسِهِ .»

أسْعدَتْ هَذِهِ الإجاباتُ المُخبِر فيكس كثيرًا ، لأنَّهُ كانَ مُتأكِّدًا مِنْ أنَّ فوغ هُوَ لِصُّ البَنْكِ ، فَها هُوَ ذا فوغ قَدْ غادَرَ إنْجِلْترا على عَجَلٍ وَبِحوزَتِهِ مَبْلَغٌ كَبيرٌ مِنَ المالِ . وَأيْقَنَ فيكس أنَّ باسپارتو لا يَعْرِفُ سَيِّدَهُ فوغ مَعْرِفَةً وَثيقَةً .

سَألَ باسپارتو: « هَلْ بومباي بَعيدَةٌ عَنْ هُنا ؟»

« الرِّحْلَةُ سَتَسْتَغْرِقُ عَشَرَةَ أيّامٍ .»

« عَشَرَةُ أيّامٍ ! إنَّ هَذا الغازَ المُشْتَعِلَ في المَنْزِلِ يُقْلِقُني جِدًّا .»

سَألَهُ فيكس: « أيُّ غازٍ ؟»

« إنَّني نَسيتُ أنْ أغْلِقَ مَوْقِدَ الغازِ، وَهُوَ الآنَ مُشْتَعِلٌ بِحُجْرَتي في لَنْدَن ، وَهُوَ الأمْرُ الَّذي سَيُكَلِّفُني شِلِنْيَنِ يَوْمِيًا .»

وَلَكِنَّ فيكس لَمْ يَكُنْ مُصْغِيًا لِحَديثِ باسپارتو؛ إذْ لَمْ يَكُنْ يَعْنيهِ أمْرُ الغازِ مِنْ قَريبٍ أوْ بَعيدٍ ؛ فَكُلُّ ما يَتَطَلَّعُ إلَيْهِ الآنَ هُوَ القِيامُ بِواجِبِهِ نَحْوَ الشُّرْطَةِ البَريطانِيَّةِ ، في إتْمامِ القَبْضِ عَلى لِصِّ البَنْكِ .

غادَرَتْ الباخِرَةُ « منغوليا » ميناءَ السُّوَيْسِ في اليَوْمِ نَفْسِهِ ،

وَبَدَأتْ رِحْلَتَها إلى بومباي لِتَقْطَعَ أكْثَرَ مِنْ ٢٠٠٠ كيلومِتْرٍ مِنَ السُّوَيْسِ إلى عَدَن . وَقَدِ اعْتادَتِ السُّفُنُ أنْ تَقْطَعَ هَذِهِ المَسافَةَ إلى عَدَن في حَوالى ١٣٨ ساعَةً .

كانَتِ السَّفينَةُ تَحْمِلُ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ السُّيّاحِ المُتَّجِهينَ إلى الهِنْدِ . وَكانَ مِنْ بَيْنِهِمْ عَدَدٌ مِنَ الضُّبّاطِ . وَتَمَّ تَقديمُ وَجَباتٍ جَيِّدَةٍ لِلرُّكّابِ عَلى أنْغامِ بَعْضِ المَقْطوعاتِ الموسيقِيَّةِ الجَميلَةِ؛ مِمّا دَفَعَ بَعْضَ الرُّكّابِ إلى الرَّقْصِ عِنْدَ حُلولِ المَساءِ ، وَلَكِنَّ الطَّقْسَ السَّيِّءَ تَسَبَّبَ في مَرَضِ الكَثيرينَ مِنْهُمْ .

أمّا فيلياس فوغ فَلَمْ تُزْعِجْهُ هَذِهِ الرِّياحُ الشَّتَوِيَّةُ عَلى الإطْلاقِ، بَلْ واظَبَ عَلى تَناوُلِ وَجَباتِهِ الأرْبَعِ يَوْمِيًا ، بِالإضافَةِ إلى لَعِبِ الوَرَقِ ؛ حَيْثُ شارَكَهُ في اللَّعِبِ ثَلاثَةٌ مِنَ المُسافِرينَ ، أحَدُهُمْ ضابِطٌ يُدْعى فرانسيس كرومارتي ، وَكانَ مُتَّجِهًا إلى بَناريس .

الفصلُ الرابعُ

في أحدِ الأيامِ ، تحدَّثَ فيكس إلى پاسپارتو قائلاً: « هل سيِّدُكَ بِخَيْرٍ؟ إنَّني لَمْ أرَهُ مُنْذُ حينٍ .»

« إنَّهُ على خَيْرِ ما يُرامُ ، وَيَنْحَصِرُ نَشاطُهُ في لَعِبِ الوَرَقِ، وَتَناوُلِ الطَّعامِ .»

تَبادَلَ الرَّجُلانِ الحَديثَ عِدَّةَ مَرّاتٍ . وَدعا فيكس پاسپارتو إلى تَناوُلِ الشَّرابِ ، فَرَحَّبَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ بِالدَّعْوَةِ في سُرورٍ .

أَبْحَرَتِ الباخِرَةُ « منغوليا » عَبْرَ ميناءِ « مُخا » في الثّالثَ عشرَ مِنْ شَهرِ أكتوبر، حَيْثُ اسْتَطاعَ پاسپارتو أَنْ يُشاهِدَها بِوُضوحٍ ، ثُمَّ أَبْحَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْرَ بابِ المَنْدَبِ ، فَوَصَلَتْ إلى عَدَن في الرّابعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ أكتوبر ، وَقَبْلَ المَوْعِدِ المُحَدَّدِ لَها بِحَوالى خَمْسَ عَشْرَةَ ساعَةً ، الأَمْرُ الَّذي دَلَّ على أَنَّ مُهَنْدِسَ السَّفينَةِ

يُؤدّي عَمَلَهُ على الوَجْهِ الأكْمَلِ .

غادَرَتِ الباخِرَةُ ميناءَ عَدَن في السّاعَةِ السّادِسَةِ في طَريقِها إلى الهِنْدِ ، وَكانَتْ تَحْتاجُ إلى ١٦٨ ساعَةً لإتْمامِ هٰذِهِ الرِّحْلَةِ . وَقَدْ لَعِبَتِ الأَشْرِعَةُ دَوْرَها في حَرَكَةِ الباخِرَة ، بِحَيْثُ انْسابَتْ سَريعًا على الماءِ . وَفي حَوالى السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ اليَوْمِ العِشْرينَ مِنْ أكْتوبر، رَأى الرُّكّابُ الهِنْدَ على البُعْدِ . وَفي تَمامِ السّاعَةِ الرّابِعَةِ وَالنِّصْفِ ، اتَّجَهَتِ الباخِرَةُ « منغوليا » إلى بومباي ، قَبْلَ يَوْمَيْنِ مِنْ مَوْعِدِها المُقَرَّرِ .

كانَ فوغ أَسْعَدَ النّاسِ ؛ فَقَدْ نَجَحَ في اخْتِصارِ الوَقْتِ .

وَصَلَ فوغ إلى الهِنْدِ في السّاعَةِ الرّابِعَةِ وَالنِّصْفِ، تِلْكَ البَلَدِ البالِغِ الضَّخامَةِ ، الَّذي يَعيشُ فيه ما يَقْرُبُ مِنْ ١٨٠ مليون شَخْصٍ. وَتُبْحِرُ السُّفُنُ فيه عَبْرَ الأَنْهارِ العَظيمَةِ ، بِالإضافَةِ لِخَطِّ السِّكَكِ الحَديدِيَّةِ الَّذي يَمْتَدُّ عَبْرَ البِلادِ ، وَيَبْدَأُ مِنْ بومباي وَيُؤدّي إلى كَلْكُتّا . وَيَسْتَطيعُ القِطارُ أَنْ يَعْبُرَ الهِنْدَ في ثَلاثَةِ أيّامٍ ، إلا أَنَّ خَطَّ السِّكَكِ الحَديدِيَّةِ لا يَسْلُكُ طَريقًا مُباشِرًا ، وَلٰكِنَّهُ يَتَّجِهُ إلى مَدينَةِ الله آباد أَوَّلاً ثُمَّ يَذْهَبُ إلى كَلْكُتّا .

وَأَعْطى فوغ پاسپارتو بَعْضَ النُّقودِ لِيَشْتَرِيَ مَلابِسَ ، قائِلاً لَهُ:

« قابِلني عِنْدَ المَحطَّة . سَيَتَحرَّكُ القِطارُ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ، وَيَجِبُ أنْ تكونَ هُناكَ قَبْلَ هذا المَوْعِدِ .»

تَوجَّهَ الرَّجُلُ الفرَنْسِيُّ إلى المَتاجِرِ، أمّا فوغ فَلَمْ يُشاهِدْ شيْئاً مِنَ المَشاهِدِ المُدْهِشَةِ في بومباي ، فَهُوَ لا يَهْتَمُّ بِالمَتاجِرِ ، كَما أنَّهُ لا يَكْتَرِثُ بِزِيارَةِ الأسْواقِ أوْ مُشاهَدَةِ المَباني الجَميلَةِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ ذَهَبَ إلى المَحطَّةِ وَتَناوَلَ الغَداءَ ، وَلَكِنَّ الوَجْبَةَ لَمْ تَحُزْ إعْجابَهُ .

وَصَلَ فيكس ، وَاتَّجَهَ إلى شُرْطَةِ بومباي ، حَيْثُ قَدَّمَ لَهُمْ نَفْسَهُ، وَأخْطَرَهُمْ بِأمْرِ فوغ ، وَسَألَ عَنْ وُصولِ أمْرِ القَبْضِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْهُ كَما تَوَقَّعَ؛ إذْ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَصَلَ بَعْدُ مِنْ لَنْدَن .

طَلَبَ فيكس مِنَ الشُّرْطَةِ الهِنْدِيَّةِ مَنْحَهُ تَفْويضاً بِالقَبْضِ على فوغ في الهِنْدِ، وَلَكِنَّهُمْ رَفَضوا مَنْحَهُ هذا الإذْنَ ؛ فَقَرَّرَ فيكس أنْ يُداوِمَ على مُراقَبَةِ فوغ لِحينِ وُرودِ التَّفْويضِ الإنْجليزِيِّ ، الَّذي لا بُدَّ أنْ يَصِلَ إلَيْهِ سَريعاً. أمّا فوغ فَكانَ في المَحطَّةِ، وَفي عَجلَةٍ مِنْ أمْرِهِ بِالطَّبْعِ ، لأنَّهُ يُفَكِّرُ في مَدينَةِ كَلْكتا الَّتي تُمَثِّلُ لَهُ المَوْقِعَ التّالِيَ في قائِمَةِ رِحْلَتِهِ ، وَلَكِنَّ فيكس لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ .

عَلِمَ پاسپارتو بِأمْرِ كَلْكتا، وَفكَّرَ في مَوْضوعِ الرِّهانِ، وَفي احْتِمالِ أنْ تَكونَ القِصَّةُ حَقيقِيَّةً، وَبِذَلِكَ سَيَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أنْ يَدورَ حَوْلَ العالَمِ ، وَأنْ يُنْهِيَ هَذِهِ الرِّحْلَةَ خِلالَ ثَمانينَ يَوْماً . وَراوَدَتْهُ هَذِهِ الأفْكارُ وَهُوَ يَتَجَوَّلُ خِلالَ الطُّرُقاتِ .

كانَتِ الشَّوارِعُ تَعجُّ بِالمارَّةِ القادِمينَ مِنْ مُخْتَلِفِ الدُّوَلِ، فَشاهَدَ پاسپارتو بَعْضَ الفَتَياتِ يَرْتَدينَ مَلابِسَ جَميلَةً ، وَبَعْضَهُنَّ يَرْقُصْنَ . وَاسْتَمَرَّ في السَّيْرِ، إلى أنْ وَصَلَ إلى أحَدِ المَعابِدِ، فَدَخَلَ .

كانَ المَعْبَدُ يَقَعُ عَلى تَلٍّ يُسمّى مالابار، وَلَمْ يَتْرُكْ پاسپارتو حِذاءَهُ عَلى بابِ المَعْبَدِ ؛ لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أنَّ النّاسَ يَجِبُ ألا تَنْتَعِلَ الأحْذِيَةَ داخِلَ المَعابِدِ .

أُعْجِبَ پاسپارتو بِهَذا المَعْبَدِ الجَميلِ إعْجاباً شَديداً ، فَأخَذَ يَتَجَوَّلُ وَيَتَأمَّلُ أنْحاءَ المَعْبَدِ المُخْتَلِفَةَ . وَفَجْأةً لَمَحَهُ ثَلاثَةٌ مِنْ رُهْبانِ المَعْبَدِ ، فَاسْتَشاطوا غَضَباً ، وَطَرَحوهُ أرْضاً، وَنَزَعوا الحِذاءَ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ تَمَكَّنَ مِنَ الفِرارِ خارِجَ المَعْبَدِ .

الفَصلُ الخامِسُ

وَصَلَ پاسپارتو إلى المَحطَّةِ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ إلا خَمْسَ دَقائِقَ، وَكانَ فيكس هُناكَ أيْضاً يَقْتَفي أثَرَ فوغ ، الَّذي كانَ في طَريقِهِ إلى كَلْكتّا ، فَأخْبَرَ الخادِمُ سَيِّدَهُ فوغ بِما حَدَثَ لَهُ في المَعْبَد ، وَاسْتَطاعَ فيكس أنْ يَسمَعَ القِصَّةَ ، وَأخَذَ يَسْتَعْرِضُ حادِثَةَ المَعْبَدِ فَلَمْ يَرْكَبِ القِطارَ ؛ إذْ واتَتْهُ فِكْرَةُ أنَّ پاسپارتو قَدْ أخْطَأ وَخَرَقَ القانونَ في الهِنْدِ، وَفي هَذِهِ الحالَةِ يُمكِنُ اسْتِصْدارُ أمْرٍ هِنْديٍّ بِالقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَهكَذا يُصْبِحُ الرَّجُلُ في قَبْضَةِ فيكس.

حَمَلَ القِطارُ فوغ وَخادِمَهُ ، وَأخَذَ يَشُقُّ طَريقَهُ خِلالَ الظَّلامِ الحالِكِ ، وَكانَ مَعَهُما في القِطارِ أيْضاً سير فرانسيس كرومارتي الَّذي كانَ مُتَّجِهاً إلى بَناريس، وَهُوَ رَجُلٌ هِنْديٌّ يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ خَمْسينَ عاماً، وَلَمْ يَكُنْ مُعْتاداً الذَّهابَ إلى إنْجِلْترا ،

وَلكِنَّهُ تَوَجَّهَ إلَيْها خِلالَ بَعْضِ العُطْلاتِ، وَهُوَ الآنَ في طَريقِهِ إلى بَناريس .

سَمِعَ فرانسيس عَنِ المَعْبَدِ وَالرُّهْبانِ ، وَعَلِمَ أيْضاً بِمَوْضوعِ رِهانِ فوغ ، فَقالَ لَهُ : « هؤُلاءِ الرُّهْبانُ سَيَجْلُبونَ لَكَ المَتاعِبَ ، يا صَديقي .»

أجابَهُ فوغ : « إنَّني لَسْتُ پاسپارتو، وَلَمْ أذْهَبْ إلى المَعْبَدِ، وَهُمْ لَمْ يُمْسِكوا بِپاسپارتو، فَماذا سَيَفْعَلونَ بي ؟»

لَمْ يُجِبْ فرانسيس عَنْ هَذا السُّؤالِ .

اخْتَرَقَ القِطارُ سَلاسِلَ مِنَ الجِبالِ ، وَسْطَ الظَّلامِ الحالِكِ الَّذي يُحيطُ بِالمَكانِ. وَفي الحادي وَالعِشْرينَ مِنْ أكْتوبَر ، اسْتَيْقَظَ پاسپارتو مُبكِّراً ، وَأخَذَ يَنْظُرُ مِنْ خِلالِ النّافِذَةِ قائِلاً لِنَفْسِهِ:

« ها هِيَ ذي الهِنْدُ ، تِلْكَ الدَّوْلَةُ الشَّهيرَةُ، وَها هُوَ ذا قِطارٌ هِنْدِيٌّ ، وَتِلْكَ الحَيَواناتُ الَّتي بِالخارِجِ تَبْدو مُخْتَلِفَةً ، وَلا تُشْبِهُ الحَيَواناتِ الَّتي تَعيشُ في أورُبّا .»

وَأخَذَ يَنْظُرُ في سُرورٍ صَوْبَ الفِيَلَةِ الَّتي تَتَجَوَّلُ في الطَّريقِ .

تَوَقَّفَ القِطارُ في مَحَطَّةِ بارهامبور في السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ وَالنِّصْفِ . وَهُناكَ اسْتَطاعَ پاسپارتو أنْ يَبْتاعَ لِنَفْسِهِ حِذاءً هِنْدِيًا، وَأسْرَعَ بِوَضْعِهِ في قَدَمَيْهِ . وَتَناوَلَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ الإفْطارَ ، ثُمَّ تَحَرَّكَ القِطارُ مُتَّجِهاً إلى آشورغور .

وَفي القِطارِ جَلَسَ پاسپارتو يُفَكِّرُ مُحَدِّثاً نَفْسَهُ: « يَبْدو أنَّ القِصَّةَ حَقيقِيَّةٌ فِعْلاً ، فَها هُوَ ذا سَيِّدي مُتَّجِهٌ بِالفِعْلِ في رِحْلَةٍ حَوْلَ العالَم ، وَيَجِبُ عَلَيَّ أنْ أساعِدَهُ لِنَعودَ سَريعاً إلى إنْجِلْترا، فَلَيْسَ لَدَيْنا سِوى ثَمانينَ يَوْماً فَقَطْ ، وَعَلَيْنا ألا نُضَيِّعَ الوَقْتَ .»

تَذَكَّرَ پاسپارتو حادِثَةَ الرُّهْبانِ الثَّلاثَةِ ؛ فَعاهَدَ نَفْسَهُ عَلى عَدَمِ القِيامِ بِمِثْلِ هَذا العَمَلِ مَرَّةً أُخْرى . وَبِحُلولِ المَساءِ كانَ القِطارُ يَشُقُّ طَرِيقَهُ عَبْرَ الجِبالِ مَرَّةً أُخْرى .

كانَ اليَوْمُ التّالي هُوَ الثّاني وَالعِشْرينَ مِنْ أكْتوبَر، فَألْقى پاسپارتو نَظْرَةً عَلى ساعَتِهِ وَقالَ لِسير فرانسيس : « السّاعَةُ الآنَ الثّالِثَةُ صَباحاً .»

وَلَكِنَّ ساعَتَهُ الشَّهيرَةَ كانَتْ مُتَأخِّرَةً أرْبَعَ ساعاتٍ ؛ إذِ الواقِعُ أنَّ السّاعَةَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ كانَتِ السّابِعَةَ، فَحاوَلَ سير فرانسيس

أنْ يُوَضِّحَ لَهُ الأمْرَ، فَقال :

« التَّوْقيتُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الأماكِنِ ، وَنَحْنُ نَتَّجِهُ نَحْوَ الشَّرْقِ بِاسْتِمْرارٍ، لِذَلِكَ يَجِبُ أنْ تُقَدِّمَ ساعَتَكَ، فَتُضيفَ إلَيْها أرْبَعَ ساعاتٍ، وَاضْبِطْها عَلى السّاعَةِ السّابِعَةِ . فَما دُمْنا في اتِّجاهِ الشَّرْقِ دائِماً ، فَهَذا يَعْني أنَّنا نَقْتَرِبُ مِنَ الشَّمْسِ ، وَلِذَلِكَ تَكونُ الأيّامُ أقْصَرَ .»

لَكِنَّ پاسپارتو لَمْ يُقَرِّبْ ساعَتَهُ ، فَظَلَّتِ السّاعَةُ تُشيرُ دائِماً إلى تَوْقيتِ لَنْدَن .

تَوَقَّفَ القِطارُ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ صَباحاً، وَهُمْ عَلى بُعْدِ أرْبَعَةٍ وَعِشْرينَ كيلومِتْراً مِنْ روثال . وَسَمِعوا رَجُلاً يُنادي وَهُوَ يَمُرُّ في القِطارِ قائِلاً: « عَلى جَميعِ المُسافِرينَ أنْ يَهْبِطوا هُنا .»

دَهِشَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ دَهْشَةً بالِغَةً لِهَذا الأمْرِ، فَنَزَلَ پاسپارتو وَلَكِنَّهُ سَرْعانَ ما عادَ وَهُوَ يَقولُ: « الخَطُّ انْتَهى هُنا .»

صاحَ سير فرانسيس: « ماذا ؟»

أجابَ پاسپارتو: « القِطارُ يَقِفُ هُنا، فَهَؤُلاءِ الرِّجالُ لَمْ يَسْتَكْمِلوا خَطَّ السِّكَكِ الحَديدِيَّةِ .»

« وَلَكِنَّ الصُّحُفَ ذَكَرَتْ أَنَّ الخطَّ مُكْتَمِلٌ . »

أضافَ أحَدُ الرِّجالِ: « الصُّحُفُ مُخْطِئَةٌ، فالخطُّ لَمْ يَكْتَمِلْ بَعْدُ.»

ظَهَرَ الغَضَبُ على وَجْهِ سير فرانسيس ، وَلَكِنَّ فوغ قالَ : « لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنَ المُواصلَةِ بِالقطارِ، ولَكِنْ عَلَيْنا أَنْ نَسيرَ قُدُمًا .»

وعَلَّقَ سير فرانسيس قائلاً: « إنَّ هَذا الأَمْرَ سَيَتَسَبَّبُ في تَأخيرِكَ.»

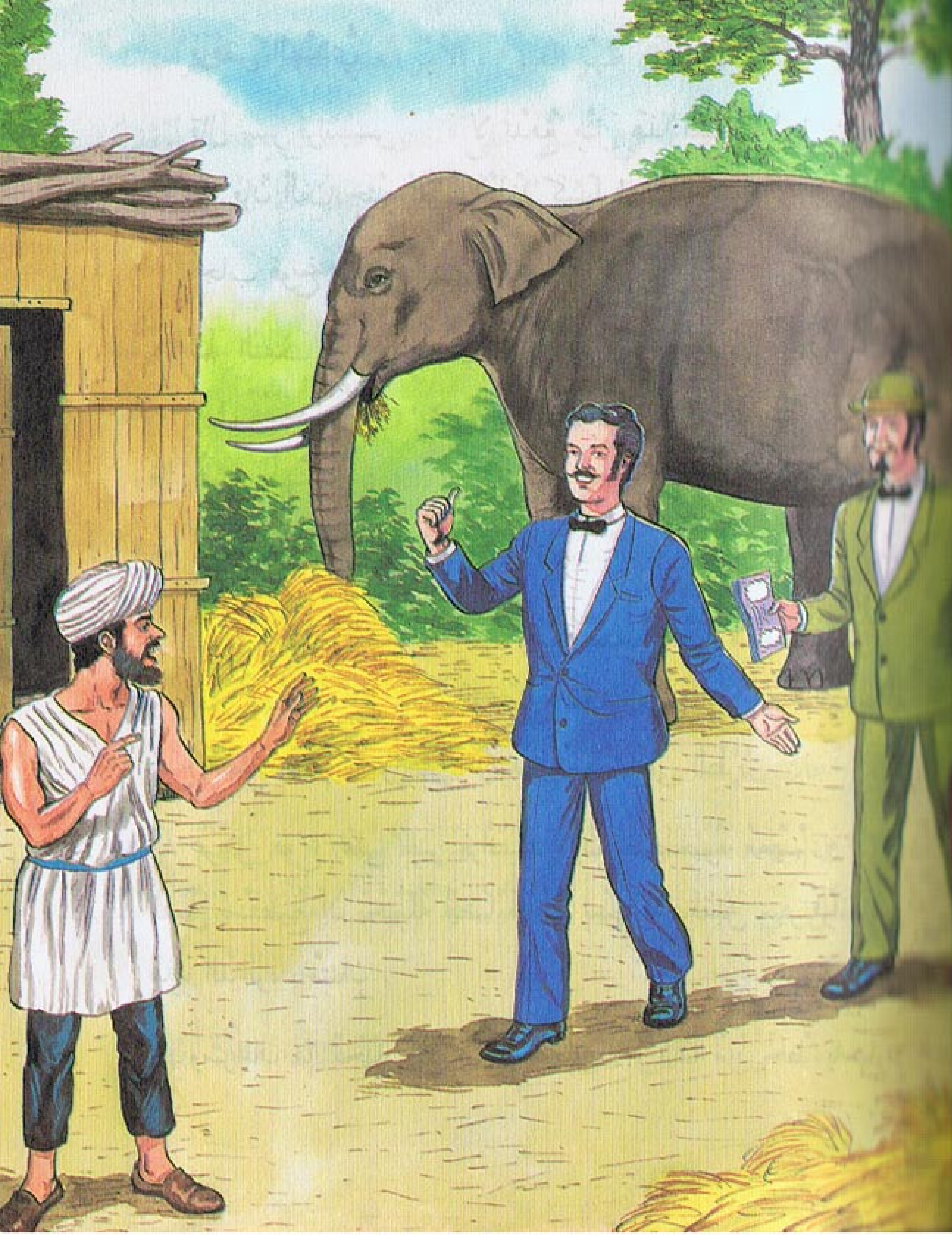
قالَ فوغ : « إنَّني الآنَ أَسْبِقُ خُطَّتي بِيَوْمَيْنِ ، فاليَوْمَ هُوَ الثّاني وَالعِشْرونَ مِنْ أكْتوبَر ؛ وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُمْكِنُنا أَنْ نَصِلَ إلى كَلْكتّا مُبَكِّرًا .»

ذَكَرَ فوغ ذَلِكَ في لَهْجَةِ الواثِقِ تَمامًا ، وَلَكِنَّ سير فرانسيس لَمْ يُعَقِّبْ بِشَيْءٍ . وَغادَرَ الرُّكّابُ القِطارَ ، وبَدَءوا في البَحْثِ عَنْ بَعْضِ الجِيادِ لِتَنْقُلَهُمْ إلى اللهِ آباد، وَحَذا فوغ وَسير فرانسيس حَذْوَهُم ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى جَوادٍ، فَقالَ فوغ : « إنَّني سَأسيرُ إلى اللهِ آباد .»

عِنْدَئِذٍ ظَهَرَ باسبارتو الَّذي بادَرَهُمْ بِقَوْلِهِ : « لَقَدْ وَجَدْتُ فيلاً ، يا سَيِّدي .»

« ماذا ؟»

« أَحَدُ الهُنودِ يُقيمُ بِالقُرْبِ مِنْ هُنا لَدَيْهِ فيلٌ .»



الفَصلُ السّادِسُ

ما إنْ مَضَتْ خَمْسُ دَقائِقَ ، حَتّى وَصَلَ فوغ وَپاسپارتو وَسير فرانسيس إلى مَنْزِلٍ صَغيرٍ، يُقيمُ فيهِ أَحَدُ الهُنودِ ، وَبالقُرْبِ مِنَ المَنْزِلِ يَقِفُ فيلٌ يُسَمّى « كيوني » ، يَسْتَطيعُ أنْ يَسيرَ بِسُرْعَةٍ واضِحَةٍ، وَلَكِنَّ الهِنْدِيَّ رَفَضَ أنْ يَبيعَ الفيلَ ؛ لِكَوْنِهِ يُريدُ أن يَحْتَفِظَ بِهِ بِالقُرْبِ مِنْهُ.

قالَ فوغ لِلْهِنْدِيِّ: « إِنَّني أَحْتاجُ لِهَذا الفيلِ ، وَسَأَجْزِلُ لَكَ العَطاءَ ، سَأَدْفَعُ لَكَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ لِكُلِّ ساعَةٍ .»

« لا .»

فَعَرَضَ عَلَيْهِ فوغ عِشْرينَ جُنَيْهاً ، ثُمَّ أَرْبَعينَ جُنَيْهاً ، وَلَكِنَّ الهِنْدِيَّ رَفَضَ هَذِهِ العُروضَ أَيْضاً .

أَضافَ فوغ : « سَأَشْتَري الفيلَ ، وَسَأَدْفَعُ لَكَ أَلْفَ جُنَيْهٍ .»

فَرَفَضَ الهِنْدِيُّ .

قالَ سير فرانسيس : « لا تَدْفَعْ مِثْلَ هَذا المَبْلَغِ ، يا صَديقِي العزيزَ؛ فَإِنَّ أَلْفَ جنيهٍ تُعْتَبَرُ مَبْلَغًا كَبيرًا !»

أجابَ فوغ : « تَذَكَّرِ الرِّهانَ .»

ثُمَّ الْتَفَتَ إلى الهِنْدِيِّ مَرَّةً أخرى ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَبْلَغَ ١٢٠٠ جُنَيْهٍ ، ثُمَّ ١٥٠٠ جُنَيْهٍ ، ثُمَّ ١٨٠٠ جُنَيْهٍ ، وَأخيرًا قالَ فوغ لِلْهِنْدِيِّ :

« سَأَدْفَعُ أَلْفَي جُنَيْهٍ .»

كانَ پاسپارتو يَشْعُرُ بِالأسى وَهُوَ يَسْتَمِعُ لِكُلِّ هَذِهِ العُروضِ .

و وافَقَ الهِنْدِيُّ فى النِّهايَةِ عَلى هَذا العَرْضِ الأخيرِ، فَدَفَعَ لَهُ فوغ المَبْلَغَ ، ثُمَّ بَحَثوا عَنْ مُرْشِدٍ لِيَدُلَّهُمْ عَلى الطَّريقِ .

عَرَضَ فوغ عَلى سِير فرانسيس أنْ يَصْطَحِبوهُ مَعَهُمْ ؛ إذْ إنَّ الفيلَ يَسْتَطيعُ أنْ يَحْمِلَهُ أيْضًا مَعَهُمْ بِسُهولَة، فَقَبِلَ سير فرانسيس هَذِهِ الدَّعْوَةَ بِامْتِنانٍ .

وَسُرْعانَ ما اتَّخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ. وَكانَ مِنْ حَظِّ پاسپارتو

السَّيِّءِ أنْ جَلَسَ فَوْقَ ظَهْرِ الفيلِ ، الأمْرُ الَّذي لَمْ يَرُقْهُ كَثيرًا .

اِسْتَمَرَّ الرَّكْبُ في السَّيْرِ عَلى مَدى ساعَتَيْنِ ، ثُمَّ أوْقَفَ المُرْشِدُ الفيلَ ؛ إذْ قَرَّروا أنْ يَمْنَحوهُ قِسْطًا مِنَ الرّاحَةِ. وَكانَ سِير فرانسيس مُجْهَدًا ، أمّا فوغ فَلَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ.

اِسْتَأْنَفَتِ المَجْموعَةُ السَّيْرَ مَرَّةً أخرى في السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ، وَقادَ المُرْشِدُ الفيلَ حَوْلَ إحْدى القُرى وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْتَرِقْها ، ثُمَّ اتَّجَهوا إلى إحْدى الغاباتِ .

وَهُناكَ تَوَقَّفَ الفيلُ فَجْأَةً ، وَكانَتِ السّاعَةُ الرّابِعَةَ ، فَقالَ المُرْشِدُ : « ‹‹ كيوني ›› خائِفٌ .»

سَأَلَهُ سِير فرانسيس : « مِمَّ يَخافُ ؟»

أجابَ المُرْشِدُ : « لا أدْري ، يا سَيِّدي .»

وَإذا بِهِمْ يَسْمَعونَ أصْواتًا تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الأشْجارِ ، فَتَرَكَهُمُ المُرْشِدُ وَتَسَلَّلَ في هُدوءٍ خِلالَها ، ثُمَّ عادَ إلَيْهِمْ وَقالَ : « إنَّهُ أحَدُ المَواكِبِ ، وَيَجِبُ ألا يَرانا أحَدٌ .»

قادَ المُرْشِدُ الفيلَ بَيْنَ الأشْجارِ ، وَانْتَظَرَ هُناكَ قائِلاً لَهُمْ :

« رُبَّما لا يَرانا هَؤُلاءِ القَوْمُ إذا مَكَثْنا هُنا .»

وَبَعْدَ لَحظاتٍ شاهدوا المَوْكِبَ قادماً في بُطْءٍ خِلالَ الغابَةِ، يَتَقَدَّمُهُ بَعْضُ الرُّهْبانِ ، وَيَتْبَعُهُمُ الرِّجالُ وَالنِّساءُ وَالأَطْفالُ وَهُمْ يُنْشِدونَ، وَتَسيرُ خَلْفَهُمْ عَرَبَةٌ ضَخْمَةٌ ذاتُ عَجلاتٍ كَبيرَةٍ .

وَكانَتِ العَرَبَةُ تَحْمِلُ بِداخِلِها جِسْماً حَجَرِيّا أَحْمَرَ اللَّوْنِ ، عَلى شكل امْرَأةٍ ذاتِ أَرْبَعِ أَذْرُعٍ .

وَكانَ بَعْضُ الرِّجالِ يَرْقُصونَ حَوْلَ هَذا الشَّكْلِ، وَأَجْسادُهُمْ تَحْمِلُ عَلاماتٍ، وَتَتْبَعُهُمْ مِنَ الخَلْفِ مَجْموعَةٌ أخرى مِنَ الرِّجالِ، يَجْذِبونَ بَيْنَهُمْ فَتاةً رائِعَةَ الجَمالِ ، وَيَسيرُ خَلْفَها بَعْضُ الرِّجالِ ، يَحْمِلونَ جُثَّةً لِرَجُلٍ عَجوزٍ يَرْتَدي مَلابِسَ المِهْراجا الفاخِرَةَ ، وَخَلْفَ هَذِهِ الجُثَّةِ تَسيرُ مَجْموعَةٌ أخرى مِنَ الرِّجالِ تَعْزِفُ الموسيقى .

اِلْتفتَ سِير فرانسيس نَحْوَ المُرْشِدِ قائِلاً :

« إِنَّهُمْ سَيَقْتُلونَها .»

قالَ المُرْشِدُ: « المِهراجا الَّذي يَحْمِلونَهُ كانَ زَوْجَها ، وَهِيَ

سَتَموتُ مَعَهُ .»

رَفَعَ المُرْشِدُ إِصْبَعَهُ، فَلَمْ يَتَفَوَّهْ سير فرانسيس بِكَلِمَةٍ أخرى . وَلَمْ يَلْبَثِ المَوْكِبُ أَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ نَحْوَ الغابَةِ .

الفَصْلُ السّابعُ

قالَ سِير فرانسيس: « سَيَحْرُقونَ هَذِهِ الفَتاةَ غَداً، فَهِيَ تُريدُ أنْ تَموتَ مَع زَوْجِها .»

قالَ المُرْشِدُ: « لا ، إنَّها لا تُريدُ أنْ تَموتَ، فَإنَّنا نَعْرِفُ قِصَّتَها.»

« وإلى أيْنَ يَقْتادونَ الفَتاةَ ؟»

« إلى أحَدِ المَعابِدِ على بُعْدِ ثَلاثَةِ كيلومِتْراتٍ مِنْ هُنا، وَسَتَظَلُّ هُناكَ اللَّيْلَةَ، وَفي الغَدِ تَموتُ .»

وَقَفَزَ المُرْشِدُ فَوْقَ ظَهْرِ الفيلِ ، ثُمَّ بَدَأَ في السَّيْرِ .

قالَ لَهُ فوغ : « اِنْتَظِرْ دَقيقَةً واحِدَةً .»

وَالْتَفَتَ نَحْوَ سير فرانسيس مُتَسائِلاً: « أ لا نَسْتَطيعُ أنْ نُنْقِذَ هَذِهِ المَرْأَةَ ؟»

صاحَ المُرْشِدُ في فَزَعٍ : « نُنْقِذُها !»

« نَعَمْ . لَدَيَّ اثْنَتا عَشْرَةَ ساعَةً ، وَيُمْكِنُني أنْ أمْنَحَها لَها .»

قالَ سِير فرانسيس: « إنَّكَ رَجُلٌ رَقيقُ المَشاعِرِ .»

رَدَّ فوغ : « في بَعْضِ الأحْيانِ فَقَطْ، وَلَكِنَّني الآنَ بِالذّاتِ لَدَيَّ بَعْضُ الوَقْتِ .»

فَرِحَ باسبارتو، وَازْدادَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ حُبّاً لِفيلياس فوغ .

وَعَرَضَ المُرْشِدُ خِدْماتِهِ ، بِالإضافَةِ إلى سِير فرانسيس الَّذي أرادَ أنْ يُساعِدَهُمْ.

قالَ فوغ : « وَلَكِنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نُنْقِذَها فَوْراً، وَعَلَيْنا أنْ نَنْتَظِرَ حُلولَ الظَّلامِ .»

قالَ المُرْشِدُ: « هُوَ ذاكَ .»

وَأخْبَرَهُمُ المُرْشِدُ أنَّ الفَتاةَ تُدْعى أودا ، وَهِيَ فَتاةٌ جَميلَةٌ وَمَشْهورَةٌ؛ إذْ إنَّها ابْنَةُ أحَدِ الأثْرِياءِ في بومباي ، وَلَمْ تَكُنْ تُريدُ الزَّواجَ مِنْ هَذا المِهْراجا العَجوزِ ، وَلَكِنَّها اضْطُرَّتْ إلى الزَّواجِ بِهِ ، لأنَّها لا تَسْتَطيعُ أنْ تَظَلَّ حُرَّةً . وَلَكِنَّ المِهْراجا تُوُفِّيَ بَعْدَ

ثَلاثَةِ أشْهُرٍ مِنْ هَذا الزَّواجِ . وَزَوْجَةُ المِهْراجا الَّذي يُتَوَفَّى يَجِبُ أنْ تَموتَ هِيَ أيْضًا . وَلَكِنَّ الفَتاةَ الجَميلَةَ لَمْ تَكُنْ تُريدُ أنْ تَموتَ، فَتَسَلَّلَتْ مِنَ المَنْزِلِ في هُدوءٍ ، وَلَكِنَّ رِجالَ المِهْراجا أمْسَكوا بِها. وَهُمُ الآنَ يَقْتادونَها عَبْرَ الغابَةِ .

اسْتَطْرَدَ المُرْشِدُ قائِلاً: « يَجِبُ أنْ تَموتَ الفَتاةُ غَدًا ، فَهَذا ما يَحْدُثُ دائِمًا بِالنِّسْبَةِ لِزَوْجَةِ المِهْراجا ، حَيْثُ تَسيرُ في مَوْكِبٍ ثُمَّ تَموتُ .»

انْتَظَرَ فوغ وَرِفاقُهُ حَتَّى المَساءِ ، ثُمَّ ساروا في هُدوءٍ يَقودُهُمُ المُرْشِدُ في اتِّجاهِ المَعْبَدِ ، حَتَّى وَصَلوا إلى أحَدِ الأنْهارِ الصَّغيرَةِ. وَهُناكَ لاحَظوا وُجودَ بَعْضِ الأخْشابِ ، الَّتي تَمَّ إعْدادُها لإشْعالِ نارٍ بِالقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ .

قالَ لَهُمُ المُرْشِدُ: « إنَّهُمْ سَيُحْرِقونَ جَسَدَيْنِ هُنا .»

وَبِالفِعْلِ شاهَدوا جُثَّةً مُمَدَّدَةً فَوْقَ كَوْمَةِ الخَشَبِ . ثُمَّ قادَهُمُ المُرْشِدُ إلى المَعْبَدِ ، حَيْثُ وَجَدوا بَعْضَ الرِّجالِ مُسْتَغْرِقينَ في النَّوْمِ بِالقُرْبِ مِنْهُ ، وَلَكِنَّ رِجالَ المِهْراجا كانوا يُراقِبونَ الأبْوابَ؛ لِذا لَمْ يَتَمَكَّنْ فوغ وَرِفاقُهُ مِنَ الدُّخولِ .

قالَ سير فرانسيس: « يَجِبُ أنْ نَنْتَظِرَ؛ فَقَدْ يَنالُ مِنْهُمُ التَّعَبُ، أوْ رُبَّما يَغْلِبُهُمُ النَّوْمُ بَعْدَ قَليلٍ ؛ وَعِنْدَئِذٍ يُمْكِنُنا أنْ نَدْخُلَ وَنَعْثُرَ عَلى الفَتاةِ .»

انْتَظَروا بَعْضَ الوَقْتِ . وَفي السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ اخْتَلَسوا النَّظَرَ مَرَّةً أخْرى ، وَلَكِنَّ رِجالَ المِهْراجا كانوا مُتَيَقِّظينَ ، فَسارَ فوغ مَعَ أصْدِقائِهِ حَوْلَ المَعْبَدِ ، ثُمَّ اتَّجَهوا خَلْفَهُ ، إلا أنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا هُناكَ أبْوابًا عَلى الإطْلاقِ .

فَبَدَءوا في عَمَلِ فَجْوَةٍ في الحائِطِ الخَلْفِيِّ ، وَإذا بِبَعْضِ الرِّجالِ يَدْنونَ مِنْ هَذا المَوْقِعِ ، فَتَوَقَّفَ فوغ وَأصْدِقاؤُهُ عَنِ العَمَلِ .

قالَ سير فرانسيس: « يَجِبُ أنْ نُسْرِعَ بِمُغادَرَةِ هَذا المَكانِ، فَإنَّنا لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنْ إنْقاذِ الفَتاةِ إذا مَكَثْنا هُنا وَشَعَروا بِوُجودِنا .»

عَقَّبَ فوغ قائِلاً: « إنَّنا سَنَنْتَظِرُ هُنا، وَلَنْ أذْهَبَ إلى الله آباد اليَوْمَ، وَلَكِنَّني سَأذْهَبُ غَدًا ، فَلا داعِيَ لأنْ أكونَ هُناكَ مُبَكِّرًا، وَقَدْ نَتَمَكَّنُ مِنْ إنْقاذِها غَدًا .»

دَهِشَ سير فرانسيس مِنْ سُلوكِ فوغ ، وَقالَ لَهُ: « إنَّكَ لَنْ

تَسْتطيعَ إنْقاذَها، وَلكِنْ يُمْكِننا الانْتِظارُ .»

وفي الوَقْتِ نَفْسِهِ كانَ پاسپارتو أيْضاً يُفكِّرُ، فَهُوَ يريدُ أنْ يُساعِدَ سَيِّدَهُ ، وَلكِنْ كَيْفَ يُمْكِنُهُ ذَلِك . وَأخَذَ يُفكِّرُ إلى أنْ واتَتْهُ فِكْرَةٌ ، وَإنْ لَمْ تكُنْ سَهْلَةً ، وَلكِنَّها فُرْصَةٌ ، وَرُبَّما يَنْجَحُ في اغْتِنامِها .

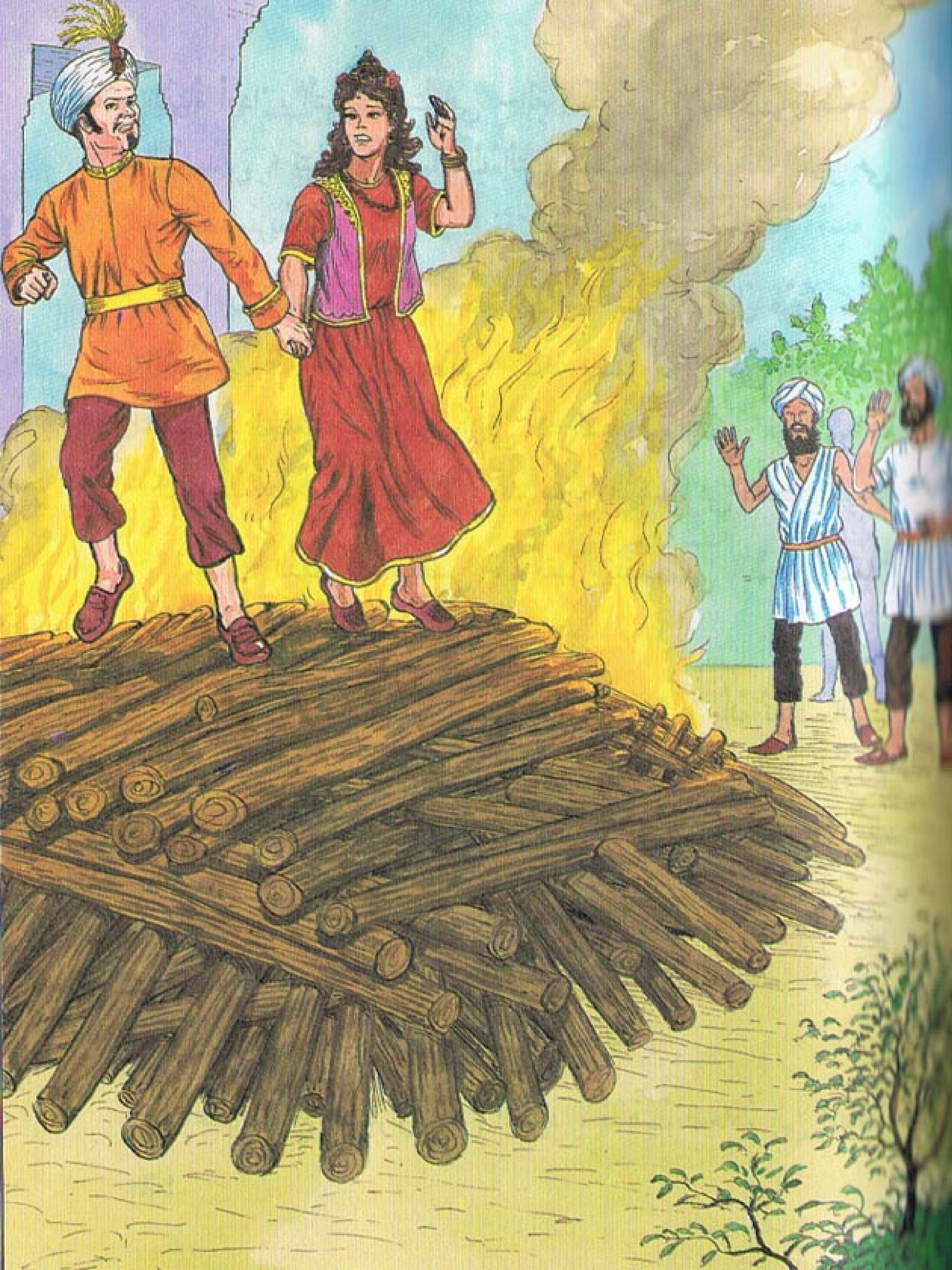
الفَصْلُ الثّامِنُ

في الصَّباحِ ، فَتَحَ رِجالُ المِهْراجا أبْوابَ المَعْبَدِ ، ثُمَّ جَذَبَ رَجُلانِ الفَتاةَ الجَميلَةَ إلى الخارِجِ ، فَشَعَرَ سير فرانسيس بِالحُزْنِ الشَّديدِ مِنْ أجْلِها .

وَأمْسَكَ فوغ بِسِكّينٍ في يَدِهِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إيقافِ الرِّجالِ ، الَّذينَ حَمَلوا الفَتاةَ الشّابَّةَ وَ وَضَعوها فَوْقَ كَوْمَةِ الأخْشابِ ، مَعَ جُثَّةِ المِهْراجا الَّتي لا تَزالُ هُناكَ .

لَمْ يَكُنْ ضَوْءُ النَّهارِ قَدِ انْتَشَرَ تَماماً ، وَلكِنَّ فوغ وَأصْدِقاءَهُ اسْتَطاعوا رُؤْيَةَ الفَتاةِ وَهِيَ مُمَدَّدَةٌ بِجانِبِ جُثَّةِ المِهْراجا .

أشْعَلَ الرِّجالُ النّارَ في كَوْمَةِ الأخْشابِ ، وَبَدَأَتِ النّارُ في الاشْتِعالِ ، فَهَمَّ فوغ بِالقَفْزِ نَحْوَ الفَتاةِ ، إلا أنَّ رِفاقَهُ أمْسَكوا بِهِ مِنَ الخَلْفِ .



وَفَجْأةً سَمِعوا صَرْخَةً تَتَرَدَّدُ في أَنْحاءِ المَكانِ، وَإذا بِالجَميعِ يُلْقونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَلى الأَرْضِ .

تُرى هَلْ نَهَضَ المِهْراجا العَجوزُ ؟!

صاحَ سير فرانسيس مُتَسائِلاً : « ما الَّذي يَحْدُثُ ؟ مَنْ هذا؟ أ لَمْ يَكُنْ مَيِّتاً ؟ أُنْظُروا ! إنَّهُ يَحْتَضِنُ الفَتاةَ بَيْنَ ذِراعَيْهِ ، إنَّهُ يَبْتَعِدُ عَنِ النّارِ، كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ ؟»

وَبِالفِعْلِ كانَ هُناكَ رَجُلٌ يُمْسِكُ بِالفَتاةِ ، ثُمَّ يَهْبِطُ بِها مِنْ فَوْقِ كَوْمَةِ الأَخْشابِ، فَارْتَمى الرُّهْبانُ على الأَرْضِ ، وَتَبِعَهُمْ بَقِيَّةُ القَوْمِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُمُ الذُّعْرُ وَالدَّهْشَةُ البالِغانِ .

إذا بِهَذا الرَّجُلِ يَأتي بِالفَتاةِ إلى فوغ وَهُوَ يَصيحُ: « هَيّا، يَجِبُ أَنْ نَبْتَعِدَ بِسُرْعَةٍ .»

لَمْ يَكُنْ هَذا الرَّجُلُ الَّذي اعْتَقَدَ الجَميعُ أَنَّهُ المِهْراجا سِوى باسبارتو نَفْسِهِ ، الَّذي شَرَحَ لَهُمُ الأَمْرَ بِقَوْلِهِ: « لَقَدْ تَسَلَّلْتُ إلى جِوارِ جُثَّةِ المِهْراجا العَجوزِ، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ هَؤُلاءِ القَوْمِ مِنْ رُؤْيَتي لِعَدَمِ انْتِشارِ الضَّوْءِ تَماماً، فَهَيّا بِنا سَريعاً .»

سَرْعانَ ما أَصْبَحَ الرِّجالُ الأَرْبَعَةُ فَوْقَ ظَهْرِ الفيلِ وَمَعَهُمُ

الفَتاةُ أودا ، الَّتي كانَتْ في حالَةٍ سيِّئَةٍ مِنَ الإرْهاقِ والضَّعْفِ الشَّديدَيْنِ ؛ نَتيجَةً لِلْمَصاعِبِ الَّتي أَلَمَّتْ بِها . وَأخَذَ الفيلُ في التَّقدُّمِ سَريعاً .

ما إنْ تَبيَّنَ الرُّهْبانُ أنَّ جُثَّةَ المِهْراجا المَيِّتِ لا تَزالُ فَوْقَ كَوْمَةِ الأخْشابِ ، وَأنَّهُ لَمْ يَنْهَضْ كَما تَصوَّروا ؛ حَتّى اجْتاحَهُمُ الغَضَبُ الجامحُ ، وَأسْرَعوا في أثَرِ الفيلِ . وَلَكِنَّ فوغ وَرِفاقَهُ كانوا قَدْ أسْرَعوا في التَّقدُّمِ ، وَلَمْ يَنْجَحِ الرُّهْبانُ في اللَّحاقِ بِهِمْ .

أوْشَكَ النَّهارُ أنْ يَنْقَضِيَ ، وَالفيلُ يَتَقَدَّمُ في الطَّريقِ حامِلاً المَجْموعَةَ فَوْقَ ظَهْرِهِ .

قالَ سير فرانسيس : « أودا يَجِبُ أنْ تَرْحَلَ ، وَأنْ تُغادِرَ الهِنْدَ بِأيِّ حالٍ ؛ فَهِيَ قَدْ تَتَعرَّضُ لِلْمَوْتِ إذا مَكَثَتْ هُنا ، فَهؤُلاءِ الرِّجالُ لَنْ يَكُفّوا عَنْ مُلاحَقَتِها . »

وَصَلَتِ المَجْموعَةُ إلى الله آباد في السّاعَةِ العاشِرَةِ ، وَهِيَ مَدينَةٌ شَهيرَةٌ ، يَلْتَقي عِنْدَها نَهْرا الجانْج وجيمنا ، كَما أنَّ خَطَّ السِّكَكِ الحَديدِيَّةِ يَبْدَأُ مِنْ هُناكَ مَرَّةً أُخْرى .

أعْطى فوغ باسپارتو بَعْضَ النُّقودِ ، فَذَهَبَ الخادِمُ إلى المَتاجِرِ

حَيْثُ ابْتاعَ لأودا بَعْضَ المَلابِسِ ، ثُمَّ حَمَلَها إلَيْهِمْ في المَحطَّةِ. وَهُناكَ لاحَظَ أنَّ وَجْهَ أودا لَمْ يَعُدْ شَديدَ الشُّحوبِ ، وَلاحَظَ أنَّها فاتِنَةٌ ، وَتَتَحَدَّثُ الإنْجِليزِيَّةَ بِطَلاقَةٍ .

نَقَدَ فوغ المُرْشِدَ أجْرَهُ ، كَما مَنَحَهُ الفيلَ أيْضاً ؛ فَسَعِدَ المُرْشِدُ بِذَلِكَ كَثيراً ، وَسَعِدَ مَعَهُ الفيلُ ، الَّذي حَمَلَ باسپارتو وَرَفَعَهُ فَوْقَ رَأسِهِ ثُمَّ وَضَعَهُ عَلى الأرْضِ مَرَّةً ثانِيَةً . وَتَبادَلَ الجَميعُ تَحِيَّةَ الوَداعِ ، وَرَكِبوا القِطارَ الَّذي أقَلَّهُمْ إلى مَدينَةِ بَنارِيس في غُضونِ ساعَتَيْنِ .

الفَصْلُ التّاسِعُ

شَعَرَتْ أودا – حين أفاقَتْ – بِالدَّهْشَةِ إزاءَ كُلِّ هذهِ الأحْداثِ، فَهِيَ الآنَ لَيْسَتْ في الغابَةِ ، وَلَكِنَّها بَدَلاً مِنْ ذَلِكَ وَجَدَتْ نَفْسَها تَرْتَدي المَلابِسَ الأوُرُبِّيَّةَ ، وَتَسيرُ في صُحْبَةِ مَجْموعَةٍ مِنَ الأغْرابِ ، في الوَقْتِ الَّذي كانَ يَجِبُ فيهِ أنْ تَموتَ .

قَدَّموا لَها الطَّعامَ ، ثُمَّ أخْبَرَها سير فرانسيس بِتَفاصيلِ القِصَّةِ، وَالدَّوْرِ الَّذي قامَ بِهِ كُلٌّ مِنْ فوغ وَپاسپارتو مِنْ أجْلِ إنْقاذِ حَياتِها؛ فَشَكَرَتْهُما أودا مِنْ صَميمِ أعْماقِها، وَلَكِنَّها أخَذَتْ تَتَلَفَّتُ حَوْلَها ثانِيَةً ، وَتَبَيَّنَتْ أنَّها لا تَزالُ في الهِنْدِ ، فَبَدَأَتْ تُفَكِّرُ في رِجالِ المَهْراجا .

لاحَظَ فوغ أنَّ الخَوْفَ يُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْها فَقالَ لَها : « لا تَخافي ! سَأصْحَبُكِ إلى خارِجِ الهِنْدِ ، وَسآخُذُكِ إلى هونغ

كونغ .»

شَعَرَتْ أودا بِالسَّعادَةِ الغامِرَةِ ؛ إذْ إنَّ لَدَيْها أصْدِقاءَ في هونغ كونغ ؛ لِذا فَقَدْ شَكَرَتْ فوغ مَرَّةً أخْرى .

تَرَكَهُمْ سير فرانسيس في مَدينَةِ بَناريس الَّتي كانَتْ نِهايَةَ رِحْلَتِهِ ، فَوَدَّعوهُ وَهُمْ يَشْعُرونَ بِالأسى عَلى فِراقِهِ لَهُمْ بَعْدَ أنْ أصْبَحَ صَديقاً.

سُرْعانَ ما تَحَرَّكَ بِهِمُ القِطارُ مُتَّخِذاً طَريقَهُ عَبْرَ الأوْدِيَةِ. وَكانوا يُشاهِدونَ الفَيَضاناتِ مِنْ خِلالِ نَوافِذِ القِطارِ . وَلَمْ يَلْبَثِ الظَّلامُ أنْ سادَ ، وَلَكِنَّ القِطارَ اسْتَمَرَّ في رِحْلَتِهِ ، فَوَصَلوا إلى كَلْكَتّا في تَمامِ السّاعَةِ السّابِعَةِ .

قالَ فوغ : « السَّفينَةُ لَنْ تَرْحَلَ قَبْلَ السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ ، وَلا يَزالُ لَدَيَّ خَمْسُ ساعاتٍ ، فاليَوْمُ هُوَ الخامِسُ وَالعِشْرونَ مِنْ أكْتوبَر. إنَّني لَمْ أتَأخَّرْ يَوْماً واحِداً .»

غادَرَ فوغ مَحَطَّةَ القِطارِ، إلا أنَّ أحَدَ رِجالِ الشُّرْطَةِ لَحِقَ بِهِ وَاسْتَوْقَفَهُ سائِلاً: « هَلْ أنْتَ السَّيِّدُ فيلياس فوغ ؟»

« نَعَم، إنَّني هُوَ .»

أضافَ رَجُلُ الشُّرْطَةِ: « يَجِبُ أنْ تأتِيَ مَعي أنْتَ وَخادِمُكَ .»

فَتذَكَّرَ فوغ رِجالَ المِهْراجا ، وَقالَ مُتَسائِلاً: « هَلْ تَسْمَحُ لِهذِهِ الفَتاةِ أنْ تأتِيَ مَعنا ؟»

أجابَهُ الشُّرْطِيُّ: « بِالتَّأكيدِ .»

اصْطَحَبَهُمُ الشُّرْطِيُّ إلى إحْدى البِناياتِ الضَّخْمَةِ ، وَما إنْ دَخلوهُ حَتّى تَركَهُمُ الشُّرْطِيُّ بَعْدَ أنْ أغْلَقَ عَلَيهِمُ البابَ .

فَكَّرَتْ أودا أيْضاً في رِجالِ المِهْراجا وَقالَتْ: « يَجِبُ أنْ تَتْرُكَني هُنا ، يا سَيِّدُ فوغ ، وَتَلْحَقَ بِسَفينَتِكَ .»

أجابَها فوغ بِطَريقَتِهِ المَعْهودَةِ: « إنَّني سَألْحَقُ بِها .»

وَفي السّاعَةِ التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ ظَهَرَ الشُّرْطِيُّ مَرَّةً أخرى ، وَقادَهُمْ إلى إحْدى القاعاتِ الفَسيحَةِ ، حَيْثُ يَجْلِسُ في صَدْرِها أحَدُ القُضاةِ .

نادى أحَدُ الرِّجالِ: « فيلياس فوغ !»

أجابَ فوغ : « إنَّني هُنا .»

ثُمَّ صاحَ الرَّجُلُ: « باسبارتو !»

فَتطَلَّعَ باسبارتو نَحْوَ القاضي قائلاً: « هُنا .»

ثُمَّ دَخَلَ إلى القاعَةِ ثَلاثَةٌ مِنْ رِجالِ الدِّينِ ؛ فَتَذَكَّرَ باسبارتو على الفَوْرِ أمْرَ جُثَّةِ المِهْراجا .

وَلكِنْ يَبْدو أنَّ المُشْكِلَةَ لَمْ تَكُنْ تَتَعَلَّقُ بِأودا على الإطْلاقِ ؛ إذْ أخْرَجَ أحَدُ هؤُلاءِ الرُّهْبانِ حِذاءً وَ وَضَعَهُ فَوْقَ المِنْضَدَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ هذا الحِذاءُ سِوى حِذاءِ باسبارتو ، الَّذي فَقَدَهُ داخِلَ المَعْبَدِ في بومباي .

صَرَخَ باسبارتو في دَهْشَةٍ: « حِذائي !»

وَعَلَينا أنْ نَتَذَكَّرَ المُخْبِرَ فيكس لِنَعْرِفَ كَيْفَ وَصَلَ حِذاءُ باسبارتو إلى هذِهِ الحُجْرَةِ ؛ فَقَدْ سَعى المُخْبِرُ فيكس لِلْقَبْضِ عَلى فوغ ؛ لِذا مَكَثَ في بومباي ، ثُمَّ ذَهَبَ لِلِقاءِ الرُّهْبانِ في تَلِّ مالابار ، وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ .

وَعلى أثَرِ هذا الحَديثِ اسْتَقَلَّ هؤُلاءِ الرُّهْبانُ القِطارَ التّالِيَ المُتَّجِهَ إلى كَلْكُتّا .

وَلَمْ يَكُنْ إذْنُ النِّيابَةِ قَدْ وَصَلَ بَعْدُ إلى فيكس ، فَتَوَجَّهَ هُوَ أيْضاً إلى كَلْكُتّا ، عَلى أمَلِ أنْ يَكونَ هؤُلاءِ الرُّهْبانُ أكْثَرَ عَوْناً

لَهُ مِنْ شُرْطَةِ لَنْدَن .

ذَكَرَ الرُّهْبانُ القِصَّةَ أَمامَ القاضي الَّذي اسْتَدارَ نَحْوَ فوغ مُتَسائِلاً: « هَلْ حَدَثَ ذَلِكَ؟ هَلْ دَخَلَ پاسپارتو المَعْبَدَ؟ وَهَلِ ارْتَدى حِذاءَهُ داخِلَهُ ؟»

أجابَ فوغ : « حَدَثَ ذَلِكَ بِالفِعْلِ .»

قالَ القاضي : « إذاً ، يَجِبُ أَنْ يَدْخُلَ پاسپارتو السِّجْنَ .»

سَأَلَهُ فوغ : « وَإِلى مَتى سَيَظَلُّ في السِّجْنِ ؟»

أجابَ القاضي في لَهْجَةٍ جافَّةٍ : « خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً ، كَما أَنَّ عَلَيْهِ أَيْضاً أَنْ يَدْفَعَ مَبْلَغَ ثَلاثِمِئَةِ جُنَيْهٍ . وَأَنْتَ أَيْضاً ، يا فيلياس فوغ ، يَجِبُ أَنْ تَدْخُلَ السِّجْنَ ، وَسَتَمْكُثُ فيهِ تِسْعَةَ أَيّام ، بِالإضافَةِ إلى سَدادِ مَبْلَغِ مِئَةٍ وَخَمْسينَ جُنَيْهاً ؛ أَلَسْتَ مَخْدومَ پاسپارتو ؟»

أَسْعَدَ هَذا الأَمْرُ المُخْبِرَ فيكس سَعادَةً بالِغَةً ، إِذْ كانَ يُراقِبُ المَوْقِفَ دونَ أَنْ يَراهُ أَحَدٌ .

وَلكِنَّ پاسپارتو، ذَلِكَ الرَّجُلَ الطَّيِّبَ ، كانَ تَعِساً لِلْغايَةِ ، وَهُوَ يَتَذَكَّرُ أَنَّ سَيِّدَهُ لَمْ يَطَأْ ذَلِكَ المَعْبَدَ عَلى الإطْلاقِ ، وَهُوَ الَّذي

دَخَلَهُ، وَسَيَتَسَبَّبُ في أَنْ يَفْقِدَ سَيِّدُهُ فوغ الرِّهانَ ، فيا لَهُ مِنْ خادِمٍ سَيِّئٍ !

نَهَضَ فوغ قائِلاً في صَوْتٍ هادِئٍ: « إِنَّني أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ كَفالَةً؛ إِذْ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ أَنْ أَدْخُلَ السِّجْنَ الآنَ ، لِذا سَأَدْفَعُ كَفالَةً، فَما قيمَتُها ؟»

أجابَ القاضي : « أُوافِقُ عَلى دَفْعِ كَفالَةٍ ، وَلَكِنَّكَ يَجِبُ أَنْ تَدْفَعَ أَلْفَي جُنَيْهٍ .»

« أوافِقُ ، يا سَيِّدي ، وَأَشْكُرُكَ .»

وَأَخْرَجَ فوغ المَبْلَغَ مِنَ الحَقيبَةِ وَقامَ بِسَدادِهِ .

قالَ لَهُ القاضي : « يُمْكِنُكَ اسْتِرْدادُ هَذا المَبْلَغِ عِنْدَما تَعودُ وَتَدْخُلُ السِّجْنَ، أَمّا الآنَ فَأَنْتَ رَجُلٌ حُرٌّ .»

الفَصْلُ العاشِرُ

اِشْتَدَّ الغَضَبُ بِفيكس ، فَها هُوَ ذا فوغ سَيَصْطَحِبُ رِفاقَهُ إلى هونغ كونغ عَلى الباخِرَةِ « رانغون » .

وَأَخَذَ فوغ يُفَكِّرُ في أَنَّهُ قَدْ أَنْفَقَ حَتّى الآنَ مَبْلَغَ خَمْسَةِ آلافِ جُنَيْهٍ ، مِنْها أَلفا جُنَيْهٍ لِدَفْعِ الكَفالَةِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لأَصْدِقائِهِ شَيْئًا بِهَذا الصَّدَدِ . وَكانَ فيكس يُفَكِّرُ أَيْضًا وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلاً: « سَأَقْتَفي أَثَرَهُ في رِحْلَتِهِ هَذِهِ حَوْلَ العالَمِ . وَلَكِنْ كَمْ سَيَتَبَقّى مِنَ المَبْلَغِ لأَسْتَرِدَّهُ مِنْهُ ؟ فَالنُّقودُ تَتَسَرَّبُ كَالماءِ مِنْ بَيْنِ أَصابِعِهِ . وَها هُوَ ذا يَدْفَعُ أَلْفَيْ جُنَيْهٍ لِلْكَفالَةِ، فَلِصُّ البَنْكِ يُمْكِنُهُ – بِالطَّبْعِ – الحُصولُ عَلى النُّقودِ بِسُهولَةٍ .»

أَخَذَتِ الباخِرَةُ « رانغون » تَشُقُّ عُبابَ البَحْرِ ، حامِلَةً عَلى مَتْنِها فوغ وَرِفاقَهُ . وَكانَتْ أودا لا تَزالُ مَعَهُمْ في طَرِيقِها إلى

هونغ كونغ . وَقَدْ أَخْبَرَها پاسپارتو بِأَمْرِ رِهانِ فوغ ، ثُمَّ سَأَلَها : « أَيْنَ سَتُقيمينَ في هونغ كونغ ؟»

« مَعَ أَحَدِ أَصْدِقاءِ أُسْرَتي ، وَيُدْعى السَّيِّدَ جيجيه .»

مَرَّتِ الباخِرَةُ في طَرِيقِها بِجُزُرِ أندامان، فَتَمَتَّعوا بِمُشاهَدَةِ مَناظِرِ الجِبالِ الرّائِعَةِ، وَلاحَظوا وُجودَ العَديدِ مِنَ الطُّيورِ الجَميلَةِ .

لَمْ يَرَ پاسپارتو أَثَرًا لِفيكس، فَظَنَّ أَنَّهُ لا يَزالُ في بومباي ، وَلَكِنَّهُ كانَ مَعَهُمْ عَلى ظَهْرِ الباخِرَةِ « رانغون » ، وَلا يَزالُ مُصِرًّا عَلى تَعَقُّبِ فوغ . وَأَخَذَ فيكس يُمَنّي نَفْسَهُ قائِلاً :

« رُبَّما أَتَمَكَّنُ مِنَ القَبْضِ عَلَيْهِ في هونغ كونغ ، فَسَيَكونُ أَمْرُ القَبْضِ قَدْ وَصَلَ إلى هُناكَ ؛ فَإِنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَسْتَخْدِمَ تَفْويضًا إِنْجِليزِيًّا لإِلْقاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ في اليابانِ أَوْ في أمريكا، وَلَكِنْ يُمْكِنُني اسْتِخْدامُهُ في هونغ كونغ . وَسَأُطْلِعُ پاسپارتو عَلى مَوْضوعِ السَّرِقَةِ ، فَهُوَ لا يَعْرِفُ سَيِّدَهُ حَقَّ المَعْرِفَةِ . وَلَكِنْ مَنْ هِيَ أودا؟ وَأَيْنَ وَجَدَها فوغ ؟ وَإِلى أَيْنَ يَأْخُذُها؟ أ إِلى هونغ كونغ ؟ لِماذا ؟ يَجِبُ أَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَ پاسپارتو .»

وَفي الثَّلاثينَ مِنْ أكْتوبَر، قابَلَ فيكس پاسپارتو ، وَأَظْهَرَ دَهْشَةً بالِغَةً ، وَسَأَلَهُ : « أَنْتَ ! هُنا في الباخِرَةِ « رانغون » ؟»

دَهِشَ باسبارتو بِدَوْرِهِ وسَأَلَهُ : « وَهَلْ أَنْتَ أَيْضاً في رِحْلَةٍ حَوْلَ العالَمِ ؟ »

« لا ، لا . إِنَّني سَأَتَوَقَّفُ في هونغ كونغ ، فَقَدْ كُنْتُ مَريضاً . وَلَكِنْ كَيْفَ حالُ سَيِّدِكَ ؟ »

أَجابَهُ باسبارتو: « إِنَّهُ في أَحْسَنِ حالٍ . » ثُمَّ أَخْبَرَهُ عَنْ مَوْضوعِ الكَفالَةِ ، كَما قَصَّ عَلَيْهِ أَيْضاً قِصَّةَ أودا وَالمَعْبَدِ والرُّهْبانِ . وَقالَ لَهُ إِنَّها في طَريقِها مَعَهُمْ إلى هونغ كونغ .

وَلَمّا اسْتَعادَ باسبارتو بَعْدَ ذَلِكَ حَديثَهُ مَعَ فيكس ، بَدَأَ يُفَكِّرُ في عُمْقٍ ، وَيَتَساءَلُ عَنِ السَّبَبِ الَّذي يَجْعَلُ فيكس يَتَتَبَّعُهُمْ على الدَّوامِ . وَتَذَكَّرَ باسبارتو الرِّجالَ الخَمْسَةَ في نادي « ريفورم » ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ أَرْسَلوا فيكس لِمُراقَبَةِ فوغ ؛ حَتَّى يَتَأَكَّدوا من تَنْفيذِ الرِّحْلَةِ .

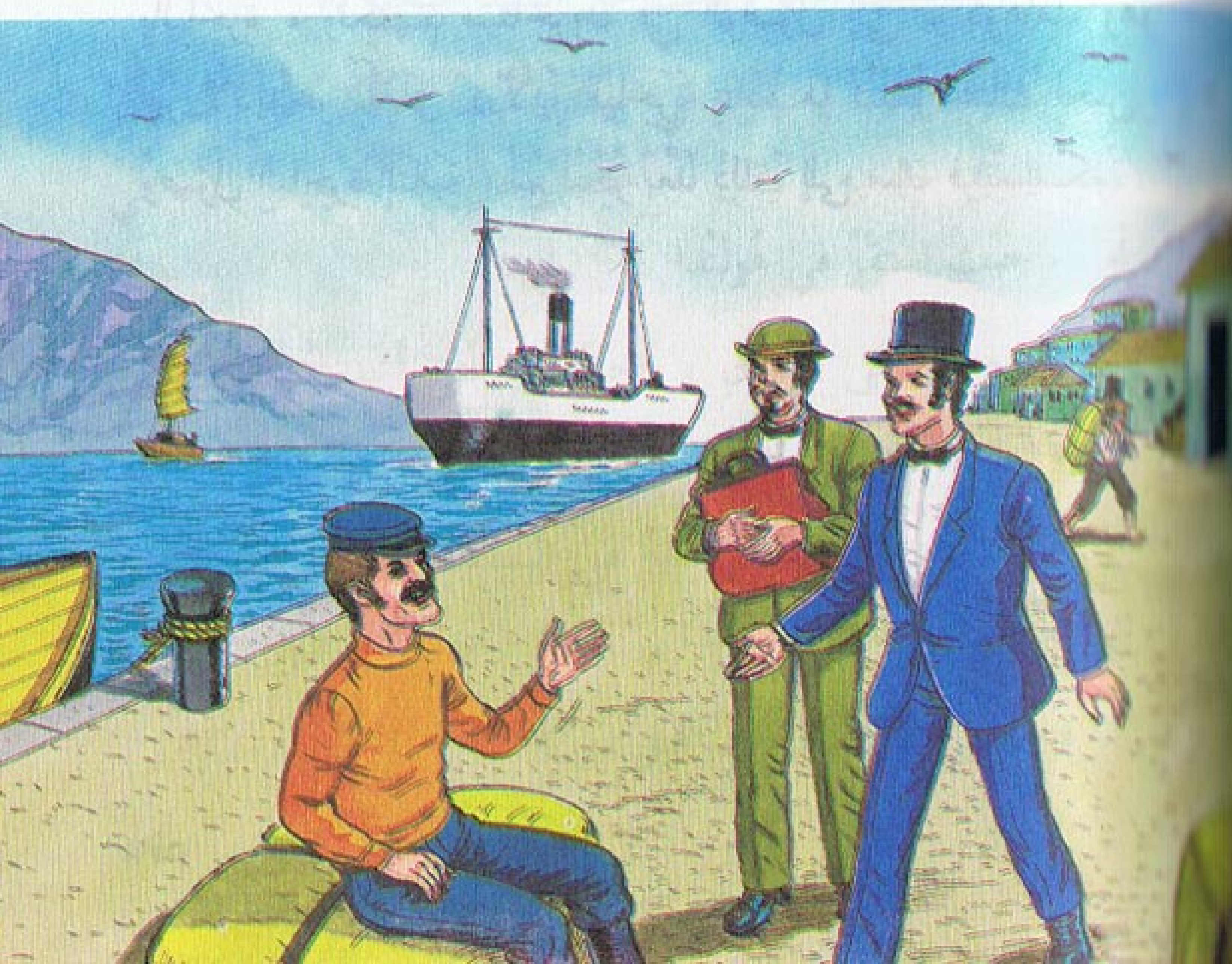
وَفي السّاعَةِ السّابِعَةِ غادَرَتِ الباخِرَةُ سِنْغافورة ، فَقالَ فوغ : « يُمْكِنُني – في هونغ كونغ – أَنْ أَلْحَقَ بِإِحْدى البَواخِرِ الَّتي سَتَبْدَأُ رِحْلَتَها في السّادِسِ مِنْ نوفمبر ، مُتَّجِهَةً إلى يوكوهاما . »

وَحَدَثَ أَنْ تَعَرَّضَتِ الباخِرَةُ أَثْناءَ رِحْلَتِها لِظُروفٍ جَوِّيَّةٍ سَيِّئَةٍ ،

مِمّا أَزْعَجَ باسبارتو ؛ إِذْ كانَ يَخْشى أَنْ تَتَسَبَّبَ في تَأْخيرِهِمْ . وَالواقِعُ أَنَّهُمْ وَصَلوا مُتَأَخِّرينَ إلى هونغ كونغ ، حَيْثُ تَبَيَّنَ لِفوغ أَنَّهُمْ لَنْ يَلْحَقوا بِالسَّفينَةِ الأخرى ، فَسَأَلَ رَجُلاً كانَ بِالقُرْبِ مِنَ الباخِرَةِ « رانغون » قائِلاً :

« مَتى سَتَرْحَلُ الباخِرَةُ التّالِيَةُ المُتَّجِهَةُ إلى يوكوهاما ؟ »

« غَداً . »



وَلَمْ يَدْهَشْ فوغ وَ سَأَلَ: « وَما اسْمُ هَذِهِ الباخِرَة؟»

« كارناتيك .»

اِسْتَطْرَدَ فوغ في تَساؤُلاتِهِ قائِلاً: « وَلِماذا لَمْ تُبْحِرْ هَذِهِ السَّفينَةُ أمسِ ؟»

« لَمْ تَكُنْ آلاتُها عَلى ما يُرامُ ، وَلَكِنَّها سَتَكونُ في أحْسَنِ حالٍ غَداً .»

فَشَكَرَهُ فوغ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ يُفَكِّرُ في أنَّهُمْ سَيَلْحَقونَ بِالباخِرَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ سَيَتَأَخَّرونَ في الوُصولِ إلى يوكوهاما، وَهُوَ أمْرٌ لا يَدْعو لِلْقَلَقِ ؛ لأنَّ الباخِرَةَ عادَةً ما تَنْتَظِرُ هُناكَ لِحينِ وُصولِ الباخِرَةِ التّالِيَةِ ، ثُمَّ تُبْحِرُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى سان فرانسيسْكو.

الفَصْلُ الحادي عَشَرَ

اِصْطَحَبَ فوغ أودا إلى أحَدِ الفَنادِقِ ، ثُمَّ قالَ لَها: « الباخِرَةُ كارناتيك سَتُبْحِرُ غَداً في السّاعَةِ الخامِسَةِ . وَنَظَراً لِضيقِ الوَقْتِ المُتاحِ ، سَأَذْهَبُ الآنَ لأبْحَثَ عَنِ السَّيِّدِ جيجيه .»

وَانْصَرَفَ وَتَرَكَ پاسپارتو في الفُنْدُقِ أيْضاً ، وَلَكِنَّ فوغ لَمْ يَعْثُرْ عَلى السَّيِّدِ جيجيه ، وَقالَ لَهُ أحَدُ الرِّجالِ: « إنَّهُ يَعيشُ الآنَ في أورُبّا، حَيْثُ اسْتَقَرَّ في هولَنْدا .»

عادَ فوغ إلى الفُنْدُقِ ، وَأخْبَرَ أودا الَّتي أخَذَتْ تَتَساءَلُ في أسًى: « وَماذا أفْعَلُ الآنَ ؟»

أجابَها فوغ : « الأمْرُ غايَةٌ في البَساطَةِ ، عَلَيْكِ أنْ تَذْهَبي إلى أورُبّا .»

« وَلَكِنَّني لا أسْتَطيعُ أنْ أقْبَلَ ...»

وَلَمْ تُكْمِلْ أودا لأنَّ فوغ قاطَعَها مُنادِيًا پاسپارتو ، ثُمَّ قالَ لَهُ: « اِذْهَبْ ، يا پاسپارتو ، إلى كارناتيك وَأَخْطِرْهُمْ بِأَمْرِنا ، حَيْثُ إنَّنا سَنَسْتَقِلُّها .»

غادَرَ پاسپارتو الفُنْدُقَ ، وَقَدِ اجْتاحَتْهُ سَعادَةٌ غامِرَةٌ ، وَأَخَذَ يَسيرُ خِلالَ المَدينَةِ ، وَيَتَفَحَّصُ القَوْمَ مِنْ حَوْلِهِ، فَتَبَيَّنَ لَهُ أنَّ هونغ كونغ مَدينَةٌ مُزْدَحِمَةٌ ، حَيْثُ تَعِجُّ شَوارِعُها بِالرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالأَطْفالِ .

وَما إنْ وَصَلَ پاسپارتو إلى مَوْقِعِ الباخِرَةِ حَتّى وَجَدَ فيكس هُناكَ، وَكانَ وَجْهُهُ يَنْطِقُ بِالأسى ، الأمْرُ الَّذي أسْعَدَ پاسپارتو كَثيرًا. وَكانَ فيكس يَشْعُرُ بِالغَضَبِ الشَّديدِ ؛ لِكَوْنِهِ لَمْ يَجِدْ أمْرَ القَبْضِ في انْتِظارِهِ كَما كانَ يَتَوَقَّعُ، وَلِذَلِكَ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ القَبْضِ عَلى فوغ .

سَأَلَهُ پاسپارتو ضاحِكًا : « تُرى هَلْ تُريدُ أنْ تَذْهَبَ إلى أمْريكا ، يا سَيِّدُ فيكس ؟»

أجابَهُ فيكس في غَضَبٍ: « نَعَمْ .»

تَوَجَّها مَعًا إلى الباخِرَةِ ، حَيْثُ أخْبَرَهُمْ أحَدُ الرِّجالِ أنَّ

الباخِرَةَ كارناتيك سَتُبْحِرُ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ مِنْ مَساءِ اليَوْمِ نَفْسِهِ؛ لأنَّ الآلاتِ أصْبَحَتْ في حالَةٍ جَيِّدَةٍ .

قالَ پاسپارتو: « حَسَنٌ ، سَأُخْبِرُ سَيِّدي .»

بادَرَهُ فيكس قائِلاً : « هَيّا، وَتَناوَلْ مَعي شَرابًا ، يا صَديقِي العَزيزَ .»

قَبِلَ پاسپارتو دَعْوَةَ فيكس في سُرورٍ، فَدَلَفا مَعًا مِنْ خِلالِ أحَدِ الأبْوابِ المَفْتوحَةِ إلى قاعَةٍ فَسيحَةٍ ، حَيْثُ وَجَدا بَعْضَ الرِّجالِ مُسْتَغْرِقينَ في النَّوْمِ ، في حينِ كانَ البَعْضُ الآخَرُ يُدَخِّنُ أوْ يَتَناوَلُ المَشْروباتِ .

جَلَسَ پاسپارتو مَعَ فيكس، وَأَخَذَ يُراقِبُ أحَدَ الرِّجالِ، مِمَّنْ كانوا يُدَخِّنونَ بِشَراهَةٍ ، ثُمَّ سَقَطَ فَجْأَةً عَلى الأرْضِ . وَكانَ ثَمَّ رَجُلٌ تَحْتَ المِنْضَدَةِ . وَلاحَظَ بَعْضُ الرِّجالِ هَذا الأمْرَ فَحَمَلوا الرَّجُلَ إلى أحَدِ الأسِرَّةِ . وَكانَ هُناكَ ما يَقْرُبُ مِنْ عِشْرينَ رَجُلاً مُسْتَلْقينَ عَلى هَذا الفِراشِ .

قالَ فيكس: « بَعْضُ الرِّجالِ يُبالِغونَ في التَّدْخينِ ، فَيَتَسَبَّبُ ذَلِكَ في وَفاتِهِمْ خِلالَ خَمْسِ سَنَواتٍ .»

طَلَبَ فيكس بعضَ المَشروباتِ ، ثُمَّ تبادلَ الرَّجلانِ الحديثَ لِبَعْضِ الوَقْتِ .

وما إنْ تناولا المَشْروباتِ حَتّى نَهَضَ پاسپارتو وَهُوَ يَقولُ : « يَجِبُ أنْ أذْهَبَ الآنَ لأخبِرَ سَيِّدي أنَّ الآلاتِ تَمَّ إصْلاحُها، وَأنَّ الباخِرَةَ سَتُبْحِرُ اللَّيْلَةَ .»

رَدَّ عَلَيْهِ فيكس : « انْتَظِرْ لَحْظَةً ، أريدُ أنْ أتَحدَّثَ معكَ بِشأنِ عَمَلي . إنَّكَ على عِلْمٍ بِالعَمَلِ الَّذي أقومُ بِهِ ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

قالَ لَهُ پاسپارتو مُتَسائِلاً ، وَهُوَ يُفَكِّرُ في نادي « ريفورم » : « لِماذا أرْسَلَكَ هَؤُلاءِ الرِّجالُ؟ إنَّكَ تُراقِبُ سَيِّدي ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنَّكَ تُضَيِّعُ وَقْتَكَ، فَسَيِّدي رَجُلٌ أمينٌ .»

فَنَظَرَ فيكس مَلِيًّا في عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُفَكِّرُ في مَوْضوعِ سَرِقَةِ البَنْكِ، ثُمَّ قالَ لَهُ: « إنَّكَ على عِلْمٍ بِأمْرِ هَذِهِ النُّقودِ . أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَهُ پاسپارتو وَهُوَ يُفَكِّرُ في رِهانِ فوغ : « عِشْرونَ ألْفَ

جُنَيْه .»

قالَ فيكس: « إنَّ المَبْلَغَ خَمْسَةٌ وَخَمْسونَ ألفًا وَلَيْسَ عِشْرين ألفًا. وَإنَّني أريدُ أنْ أؤَدِّيَ عَمَلي بِإتْقانٍ ؛ وَعِنْدَئِذٍ سَيَمْنَحُني البوليس ألْفَي جُنَيْهٍ، فَهَلْ تُساعِدُني مُقابِلَ خَمْسِمِئَةِ جُنَيْهٍ ؟»

صاحَ پاسپارتو: « أساعِدُكَ! كَيْفَ ؟»

« اِعْمَلْ عَلى تَأخيرِ السَّيِّدِ فوغ هُنا لِبِضْعَةِ أيّامٍ .»

صَرَخَ پاسپارتو: « ماذا تَعْني ؟ هَلْ يُريدُ هَؤُلاءِ الرِّجالُ أنْ يَمْنَعوهُ؟ أيُّ نَوْعٍ مِنَ الأصْدِقاءِ هُمْ ؟»

قالَ الرَّجُلُ الفَرَنْسِيُّ ذَلِكَ ، وَذِهْنُهُ كُلُّهُ لا يَزالُ مُتَّجِهًا نَحْوَ نادي « ريفورم » ، وَلَكِنَّ فيكس كانَ يَتَحدَّثُ عَنْ سَرِقَةِ البَنْكِ ، لِذا بَدَأ فيكس يَشُكُّ في الأمْرِ ، وَيَتَساءَلُ عَنْ هَؤُلاءِ الرِّجالِ .

اسْتَطْرَدَ پاسپارتو قائِلاً: « إنَّكَ تَعْمَلُ لِحِسابِ السَّيِّدِ رالف وَأصْدِقائِهِ الخَمْسَةِ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَهُ فيكس: « إنَّني لا أعْمَلُ لِحِسابِهِمْ .»

ضَحِكَ پاسپارتو وَقالَ: « بَلْ إنَّكَ لَكَذَلِكَ .»

قالَ فيكس: « إنَّني مُخبِرٌ بالشُّرْطَةِ ، وأعْمَلُ بِشُرْطَةِ لَنْدَن . اُنْظُرْ ها هُنا .»

ثُمَّ أطْلَعَ فيكس پاسپارتو على قُصاصَةٍ مِنَ الوَرَقِ مُدَوَّنٍ عَلَيْها عُنوانُ الشُّرْطَةِ ، فَألْجَمَتِ الدَّهْشَةُ لِسانَ پاسپارتو، وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ .

قالَ لَهُ فيكس: « إنَّ مَوْضوعَ الرِّهانِ مُجَرَّدُ قِصَّةٍ غَيْرِ حَقيقِيَّةٍ، فَهُوَ يَتَحَدَّثُ دائِماً عَنْ رِهانٍ ، في حينِ أنَّ الواقِعَ أنَّهُ لِصُّ بَنْكٍ.»

أجابَ پاسپارتو: « لا ، إنَّهُ رَجُلٌ أمينٌ .»

« اِسْمَعْ ، في الثّامِنِ وَالعِشْرينَ مِنْ سِبْتَمْبر ، اسْتَوْلى أحَدُ الأشْخاصِ عَلى مَبْلَغٍ مِنَ المالِ يُقَدَّرُ بِحَوالى خَمْسَةٍ وَخَمْسينَ ألْفَ جُنَيْهٍ مِنْ أحَدِ البُنوكِ، وَقَدْ رَآهُ بَعْضُ النّاسِ وَأدْلَوْا بِأوْصافِهِ. اُنْظُرْ إلى هَذِهِ الوَرَقَةِ وَاقْرَأها؛ فَإنَّهُمْ يَصِفونَ اللِّصَّ هُنا. أ لَيْسَ هُوَ السَّيِّدَ فوغ؟ أ لا يُشْبِهُهُ تَماماً ؟ أجِبْ .»

« لا ، لا يُشْبِهُهُ . كَما أنَّ سَيِّدي رَجُلٌ أمينٌ وَ لَيْسَ لِصّاً .»

قالَ فيكس: « وَكَيْفَ تَعْرِفُ ؟ وَمَتى ذَهَبْتَ إلى مَنْزِلِهِ؟

وَمَتى قابَلْتَهُ ؟ هَلْ تَتَذَكَّرُ اليَوْمَ ؟ إنَّكَ تَرَكْتَ لَنْدَن في اليَوْمِ نَفْسِهِ وَفي عَجَلَةٍ مِنْ أمْرِكَ وَمَعَكَ حَقيبَةٌ واحِدَةٌ فَقَطْ، لِماذا ؟»

ألْقى پاسپارتو بِرَأسِهِ بَيْنَ راحَتَيْهِ ، وَالأفْكارُ تَتَصارَعُ في رَأسِهِ بِشأنِ سَيِّدِهِ ، وَكَيْفَ يُمْكِنُ أنْ يَكونَ لِصّاً، فَسَيِّدُهُ رَجُلٌ شُجاعٌ، أنْقَذَ حَياةَ أودا، فَهَلْ يُمْكِنُ أنْ يَكونَ لِصّاً؟ وَأخيراً الْتَفَتَ نَحْوَ فيكس مُتَسائِلاً: « ماذا تُريدُ مِنّي ؟»

« إنَّني لاحَقْتُ سَيِّدَكَ إلى هُنا ، وَلَكِنَّني لا أمْلِكُ أنْ أقْبِضَ عَلَيْهِ، لأنَّني أحْتاجُ إلى إذْنٍ بِالقَبْضِ، وَلَمْ أتَسَلَّمْ هَذا الإذْنَ بَعْدُ. وَقَدْ يَصِلُ التَّفْويضُ فيما بَعْدُ ، وَعِنْدَئِذٍ يُمْكِنُني أنْ أقْبِضَ عَلَيْهِ. أريدُكَ أنْ تَحْجِزَهُ هُنا في هونغ كونغ ، فَالبَنْكُ سَيُعْطيني ألْفَيْ جُنَيْهٍ، وَأنا بِدَوْري سَأُعْطيكَ خَمْسَمِئَةٍ، فَما رَأيُكَ في هَذا ؟»

قالَ پاسپارتو صائِحاً: « أبَداً، أبَداً ! إنَّني خادِمُهُ . وَهُوَ سَيِّدٌ عَطوفٌ، وَلَنْ أفْعَلَ شَيْئاً مِنْ هَذا القَبيلِ .»

قالَ لَهُ فيكس: « إذاً انْسَ الأمْرَ بِرُمَّتِهِ، وَتَناوَلْ شَراباً .»

وَقَدَّمَ فيكس لِپاسپارتو عِدَّةَ كُئوسٍ مِنَ الشَّرابِ ، ثُمَّ بَدَأ

الرَّجُلُ الفَرَنْسِيُّ في التَّدْخينِ ، في حينِ ظَلَّ فيكس يُراقِبُهُ وَهُوَ يُدَخِّنُ ، وَإذا بِپاسپارتو يَنْزَلِقُ إلى الأرْضِ ، وَعِنْدَئِذٍ غادَرَ فيكس المَكانَ قائِلاً لِنَفْسِهِ: « لَنْ يَعْلَمَ سَيِّدُهُ شَيْئًا عَنِ الباخِرَةِ ، وَبِهَذا لَنْ يَلْحَقَ فوغ بِالباخِرَةِ « كارناتيك » .»

الفَصْلُ الثانِيَ عَشَرَ

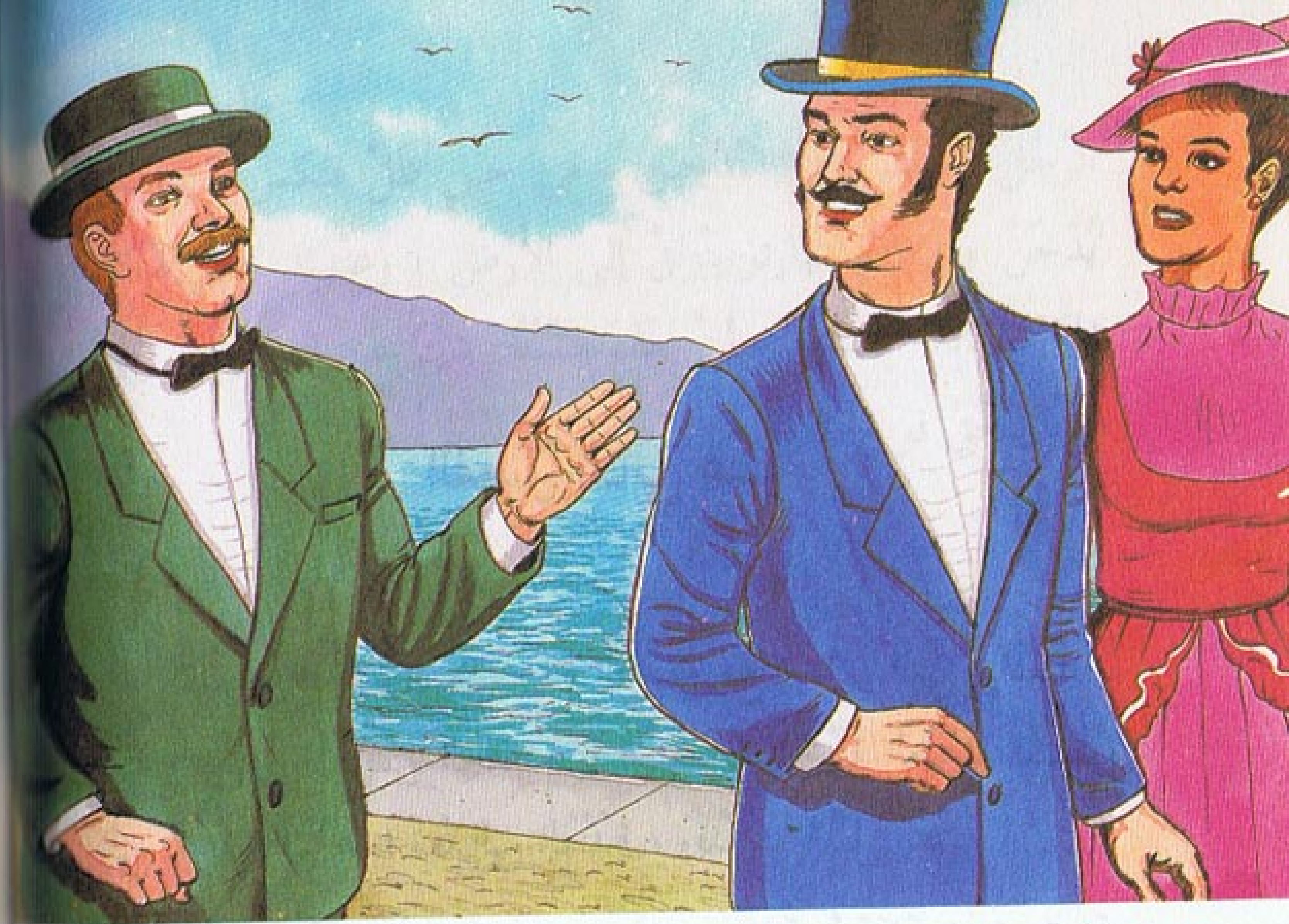
كانَ فوغ يَتَسَوَّقُ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ مَعَ أودا ، الَّتي أرادَتْ أنْ تَبْتاعَ بَعْضَ المَلابِسِ الجَديدَةِ ؛ اسْتِعْداداً لِلرِّحْلَةِ الطَّويلَةِ المُنْتَظَرَةِ إلى أورُبّا ، ثُمَّ عادا مَعاً إلى الفُنْدُقِ، وَقَدْ بَدَأَ اللَّيْلُ يَنْتَشِرُ .

تَوَجَّهَتْ أودا إلى الفِراشِ ، في حينَ انْشَغَلَ فوغ بِقِراءَةِ بَعْضِ الصُّحُفِ .

أمّا پاسپارتو فَلَمْ يَكُنْ قَدْ وَصَلَ بَعْدُ ، وَلَكِنَّ هَذا لَمْ يُزْعِجْ فوغ بِالمَرَّةِ ؛ فَإنَّ الأحْداثَ لا تُدْهِشُهُ إطْلاقًا .

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي قُرِعَ الجَرَسُ إلا أنَّ پاسپارتو لَمْ يُجِبْ .

اِصْطَحَبَ فوغ أودا وَتَوَجَّها إلى الشّاطِئِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا الباخِرَةَ « كارناتيك » هُناكَ ، وَقيلَ لَهُمْ إنَّها رَحَلَتْ في اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ.



لَمْ يَبْدُ عَلى فوغ أيُّ أثَرٍ لِلدَّهْشَةِ أوِ الغَضَبِ ، وَقالَ لأودا: « لا يَهُمُّ .»

وَفَجْأةً ظَهَرَ فيكس خَلْفَهُ وَهُوَ يَقولُ : « أنا أيْضاً أرَدْتُ أنْ أسْتَقِلَّ ‹‹ كارناتيك ›› ، وَلَكِنْ يَجِبُ أنْ نَنْتَظِرَ الآنَ ، وَعَلَيْنا أنْ نَقْضِيَ هُنا أسْبوعاً .»

وَكانَ فيكس يَشْعُرُ بِسَعادَةٍ بالِغَةٍ ، وَهُوَ يُفَكِّرُ في أنَّ أمْرَ

القَبْضِ سَيَصِلُ قَبْلَ انْقِضاءِ هَذا الأسْبوعِ ؛ وَعِنْدَئِذٍ سَيَتَمَكَّنُ مِنَ القَبْضِ عَلى فوغ .

أمّا فوغ فَكانَ يُفَكِّرُ بِطَريقَةٍ أخرى ، مِنْ حَيْثُ ضَرورَةُ العُثورِ عَلى باخِرَةٍ أخرى بِأيَّةِ وَسيلَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَوَصَّلْ إلى شَيْءٍ . وَإذا بِرَجُلٍ يَتَقَدَّمُ نَحْوَهُ وَيَسْألُهُ: « هَلْ تَبْحَثُ عَنْ قارِبٍ ؟»

أجابَهُ فوغ: « وَهَلْ لَدَيْكَ قارِبٌ ؟»

« نَعَمْ، لَدَيَّ قارِبٌ جَيِّدٌ . إلى أيْنَ تُريدُ أنْ تَذْهَبَ ؟»

قالَ فوغ : « إلى يو كوهاما .»

صاحَ الرَّجُلُ في دَهْشَةٍ بالِغَةٍ: « يو كوهاما !»

« لَمْ أتَمَكَّنْ مِنَ اللَّحاقِ بِالباخِرَةِ ‹‹ كارناتيك ›› ، وَيَجِبُ أنْ أصِلَ إلى يو كوهاما قَبْلَ الرّابِعَ عَشَرَ مِنْ نوفمبر ؛ لأتَمَكَّنَ مِنَ اللَّحاقِ بِالباخِرَةِ المُتَّجِهَةِ إلى سان فرانسيسْكو .»

قالَ الرَّجُلُ: « إنَّهُ أمْرٌ مُحالٌ !»

قالَ لَهُ فوغ : « يَجِبُ أنْ أذْهَبَ إلى يو كوهاما، فَكَمْ يَسْتَغْرِقُ هَذا الأمْرُ؟ وَإنَّني أعْرِضُ عَلَيْكَ مِئَةَ جُنَيْهٍ يَوْمِياً، بِالإضافَةِ إلى مِئَتَيْ جُنَيْهٍ أدْفَعُها لَكَ في يو كوهاما ، وَلَكِنَّ المُهِمَّ أنْ تَصِلَ إلى

هُناكَ في الوَقْتِ المُناسِبِ ؛ حَتّى لا أتأخَّرَ عَنِ اللَّحاقِ بِهَذِهِ الباخِرَةِ .»

اِبْتَعَدَ عَنْهُ الرَّجُلُ قَليلاً، وَأخَذَ يَتَطَلَّعُ نَحْوَ البَحْرِ، وَهُوَ يُفكِّرُ في أنَّ فوغ يَعْرِضُ عَلَيْهِ مَبْلَغاً كَبيراً مِنَ المالِ ، وَلَكِنَّ البَحْرَ كانَ خَطِراً، وَيوكوهاما بَعيدَةٌ ، وَقَدْ يَتَعَرَّضونَ لِعاصِفَةٍ هَوْجاءَ . وَلَكِنَّهُ عاوَدَ التَّفْكيرَ في هَذا المَبْلَغِ الضَّخْمِ المَعْروضِ عَلَيْهِ ، فَعادَ أدْراجَهُ إلى فوغ قائِلاً:

« لا أسْتَطيعُ القِيامَ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ البَعيدَةِ، فَإنَّ قارِبي جِدُّ صَغيرٍ وَلا يَقْوى عَلى قَطْعِ مَسافَةٍ تُقَدَّرُ بِحَوالى ٢٦٤٠ كيلومِتْراً إلى يوكوهاما ، إنَّها رِحْلَةٌ غَيْرُ مُمْكِنَةٍ .»

قالَ لَهُ فوغ : « إنَّها لَيْسَتْ ٢٦٤٠ كيلومِتْراً ، وَلَكِنَّها ٢٥٦٠ فَقَطْ .»

« الأمْرُ لا يَخْتَلِفُ كَثيراً .»

اِزْدادَتْ سَعادَةُ فيكس ، فَها هُوَ ذا فوغ لا يَسْتَطيعُ الرَّحيلَ. إلا أنَّ الرَّجُلَ طَرَحَ فِكْرَةً جَديدَةً ، فَقالَ: « يُمْكِنُني أنْ آخُذَكَ

إلى ناغازاكي، عَلى بُعْدِ ١٨ كيلومِتْراً فَقَطْ ، أوْ يُمْكِنُنا التَّوَجُّهُ إلى شنْغهاي عَلى بُعْدِ ١٢٨٠ كيلومِتْراً .»

رَدَّ عَلَيْهِ فوغ : « اِسْمَعْ ، يَجِبُ أنْ ألْحَقَ بِالسَّفينَةِ في يوكوهاما؛ لِذا أريدُ أنْ أذْهَبَ إلى يوكوهاما لا إلى ناغازاكي أوْ إلى شنْغهاي !»

سَألَهُ الرَّجُلُ: « لِماذا ؟ فَالسَّفينَةُ تَتَّجِهُ بِالفِعْلِ إلى يوكوهاما، وَلَكِنَّها تَبْدَأُ رِحْلَتَها مِنْ شنْغهاي ، ثُمَّ تَتَّجِهُ إلى ناغازاكي وَمِنْها إلى يوكوهاما ، ثُمَّ تَتَوَجَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى سان فرانسيسكو ، فَلِماذا تُصِرُّ عَلى الذَّهابِ إلى يوكوهاما ؟ وَلِمَ لا تَلْحَقُ بِالباخِرَةِ في شنْغهاي ؟»

سَألَهُ فوغ : « هَلْ أنْتَ مُتَأكِّدٌ مِنْ قَوْلِكَ ؟»

« تَمامَ التَّأكُّدِ .»

« وَمَتى تُغادِرُ السَّفينَةُ شنْغهاي ؟»

« سَتُبْحِرُ مَساءَ الحادِيَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ نوفمبر، وَبِذَلِكَ يَكونُ أمامَنا أرْبَعَةُ أيّامٍ ، أيْ ما يُوازي سِتّاً وَتِسعينَ ساعَةً . وَقَدْ يُحالِفُنا الحَظُّ فَلا نُصادِفُ أيَّةَ عاصِفَةٍ، وَرُبَّما تَدْفَعُنا الرِّياحُ .»

سَألَهُ فوغ : « متى يُمْكِنُكَ الرَّحيلُ ؟»

« خِلالَ ساعةٍ ؛ إذْ يَجِبُ أنْ أشْتَرِيَ طَعامًا وَأحْضِرَ مِياهًا .»

قالَ فوغ : « وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ هَلْ أنْتَ رُبّانُ القارِبِ ؟»

« نَعَمْ، إنَّني جون بَنْسبي ، رُبّانُ القارِبِ «« تانكادير »» .»

فَأعْطَى فوغ لِبَنْسبي مِئَتَيْ جُنَيْهٍ ثُمَّ اسْتَدارَ إلى فيكس قائِلاً : « هَلْ سَتَأتي مَعَنا، يا سَيِّدُ فيكس ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ فيكس: « أشْكُرُكَ . يَسُرُّني أنْ أقْبَلَ دَعْوَتَكَ .»

قالَ فوغ: « إنَّنا سَنَرْحَلُ في غُضونِ نِصْفِ السّاعَةِ .»

تَساءَلَتْ أودا: « وَلَكِنْ أيْنَ پاسپارتو؟ هَلْ سَنَرْحَلُ بِدونِهِ ؟»

تَوَجَّهَ فوغ وَأودا إلى الشُّرْطَةِ وَأدْلَيا بِأوْصافِ پاسپارتو ، وَأوْضَحا أنَّهُما لَمْ يَتَمَكَّنا مِنَ العُثورِ عَلَيْهِ. وَعادا بَعْدَ ذَلِكَ إلى الفُنْدُقِ ، ثُمَّ تَوَجَّها إلى القارِبِ « تانكادير »، حَيْثُ كانَ بَنْسبي مُنْتَظِرًا وَمَعَهُ أرْبَعَةُ رِجالٍ .

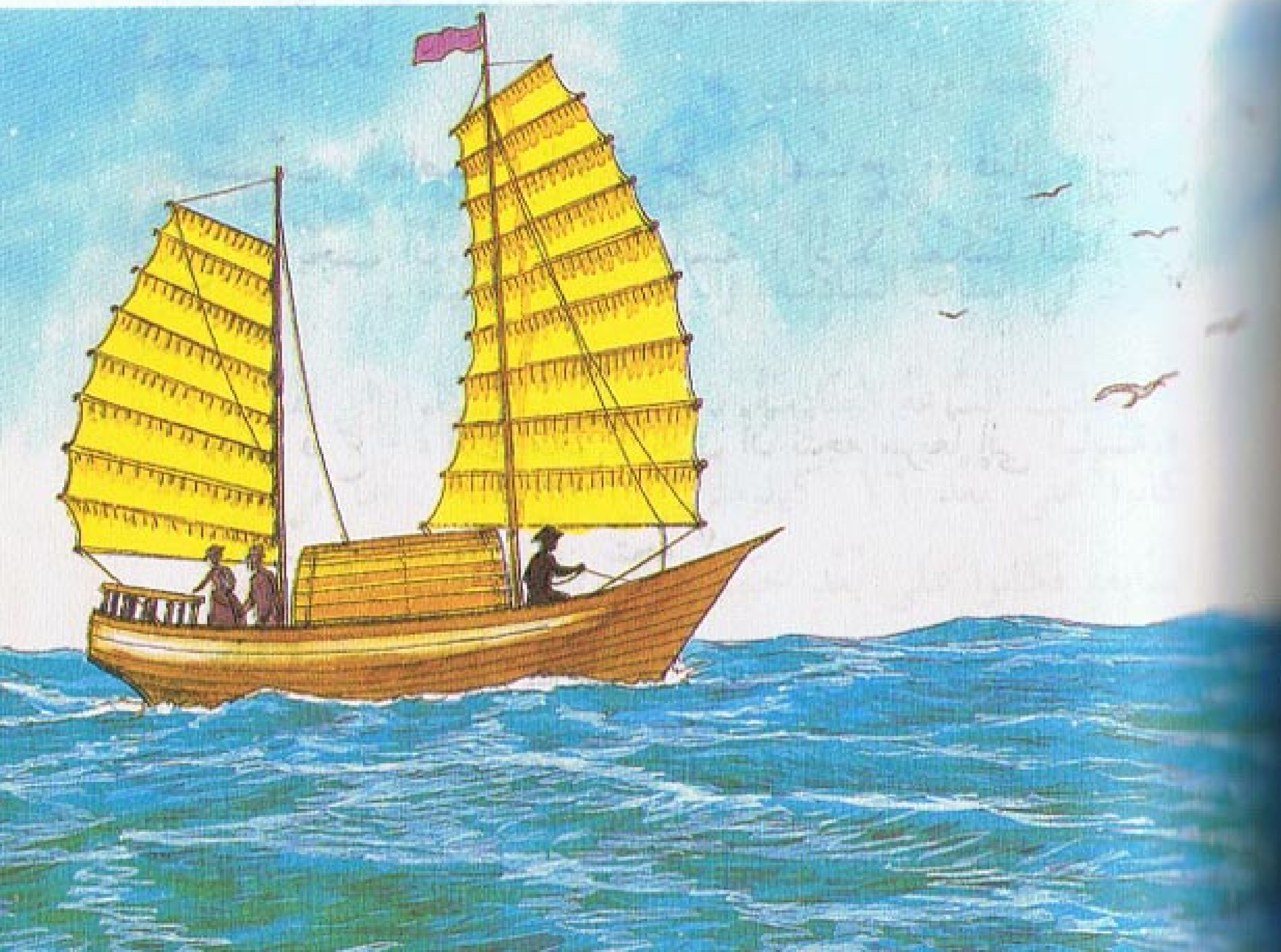
في السّاعَةِ الثّالِثَةِ إلا عَشْرَ دَقائِقَ ، رَفَعَ الرِّجالُ أشْرِعَةَ القارِبِ، وَأخَذَ العَلَمُ يَتَمايَلُ عَلى الصّاري ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْمَحوا پاسپارتو. وَهَكَذا أبْحَرَ القارِبُ الصَّغيرُ بِدونِهِ .

قالَ فوغ : « رُبَّما يَكونُ قَدْ لَحِقَ بِالباخِرَةِ «« كارناتيك »» .»

أجابَتْهُ أودا : « نَعَمْ . وَقَدْ نَجِدُهُ في يوكوهاما .»

في السّاعَةِ العاشِرَةِ ، اشْتَدَّتْ قُوَّةُ الرِّياحِ ، وَلَكِنَّ فوغ وَرِفاقَهُ كانوا مُسْتَغْرِقينَ في نَوْمٍ عَميقٍ . وَفي الصَّباحِ بادَرَهُمْ بَنْسبي بِقَوْلِهِ: « إنَّنا قَطَعْنا ما يَقْرُبُ مِنْ ١٦٠ كيلومِتْرًا حَتّى الآنَ .»

في ذَلِكَ اليَوْمِ قَطَعوا ما يَقْرُبُ مِنْ ١٩٢ كيلومِتْرًا، حَيْثُ مَرّوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلى جَزيرَةٍ ضَخْمَةٍ ، فَقالَ بَنْسبي: « هَذِهِ هِيَ جَزيرَةُ فورموزا .»



تَقدَّمَ القارِبُ الصَّغيرُ سَريعًا . وَفي اليَوْمِ التّالي كانَتِ السَّماءُ مُلَبَّدَةً بِالغُيومِ ، فَقالَ بَنْسبي إنَّ ثَمَّةَ عاصِفَةً في الطَّريقِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَسْتَعِدُّ لِمُواجَهَتِها .

وَسَرْعانَ ما هَبَّتِ العاصِفَةُ القَوِيَّةُ ، وَأَخَذَتِ الرِّياحُ الشَّديدَةُ تَدْفَعُ بِالقارِبِ الصَّغيرِ لأَعْلى ثُمَّ تَهْبِطُ بِهِ مَرَّةً أُخرى ، وَقَدْ أَحاطَتْ بِهِ جِبالٌ مِنَ المِياهِ ، فَلَمْ تَلْبَثِ الفَتاةُ وَالرِّجالُ أَنْ أَصابَهُمُ البَلَلُ الشَّديدُ، فَشَعَرَ فيكس بِالضّيقِ لِهَذا الأَمْرِ، أَمّا الفَتاةُ فَلَمْ يَبْدُ عَلَيْها أَيُّ خَوْفٍ ، وَظَلَّتْ واقِفَةً بِجانِبِ فوغ الَّذي لَمْ تُزْعِجْهُ العاصِفَةُ إِطْلاقًا .

اسْتَمَرَّتِ العاصِفَةُ القَوِيَّةُ حَتّى الصَّباحِ ، فَقالَ بَنْسبي لِفوغ: « يَجِبُ أَنْ نَتَّجِهَ نَحْوَ اليابِسَةِ ؛ إِذْ لا يُمْكِنُنا البَقاءُ في البَحْرِ .»

أَجابَ فوغ : « إِنَّكَ مُحِقٌّ، يَجِبُ أَنْ نَتَّجِهَ سَريعًا إِلى اليابِسَةِ.»

سَأَلَهُ بَنْسبي : « وَإِلى أَيْنَ نَتَّجِهُ ؟»

أَجابَهُ فوغ : « إِلى شَنْغهاي .»

« شَنْغهاي! هَذا غَيْرُ مُمْكِنٍ ؛ فَهِيَ بَعيدَةٌ عَنّا .»

قالَ فوغ مُؤَكِّدًا: « إِلى شَنْغهاي .»

قالَ بَنْسبي : « إِنَّ الأَمْرَ لَنْ يَكونَ سَهْلاً ، وَلَكِنَّنا سَنُحاوِلُ الذَّهابَ إِلى شَنْغهاي .»

وَبِحُلولِ اللَّيْلِ ، اشْتَدَّتِ العاصِفَةُ خُطورَةً ، وَلَكِنَّ القارِبَ الصَّغيرَ ظَلَّ ثابِتًا .

وَبَدَأَ يَوْمٌ آخَرُ مَعَ اسْتِمْرارِ العاصِفَةِ ، وَلَكِنَّ الرِّياحَ القَوِيَّةَ لَمْ تُؤَثِّرْ في « تانكادير » .

وَفي اليَوْمِ التّالي قالَ بَنْسبي: « إِنَّنا الآنَ عَلى بُعْدِ ١٦٠ كيلومِتْرًا فَقَطْ مِنْ شَنْغهاي .»

أَخَذَ فوغ يُفَكِّرُ في أَنَّ الباخِرَةَ قَدْ تَرْحَلُ، فَهِيَ عادَةً ما تَتَحَرَّكُ في السّاعَةِ السّادِسَةِ، وَالوَقْتُ أَصْبَحَ ضَيِّقًا .

وَحانَتِ السّاعَةُ السّادِسَةُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَصِلوا إِلى هُناكَ، بَلْ كانوا عَلى بُعْدِ ١٦ كيلومِتْرًا مِنْ شَنْغهاي . أَمّا في السّاعَةِ السّابِعَةِ فَكانوا عَلى بُعْدِ خَمْسَةِ كيلومِتْراتٍ مِنْها . وَأَخَذَ بَنْسبي يُفَكِّرُ في أَنَّهُ لَنْ يَحْصُلَ عَلى الجُنَيْهاتِ المِئَةِ ؛ لأَنَّهُ لَنْ يَلْحَقَ بِالسَّفينَةِ ، وَإِذا بِهِمْ يُشاهِدونَ السَّفينَةَ وَهِيَ تُغادِرُ مَدينَةَ شَنْغهاي

وَهُمْ لَمْ يَقْتَرِبوا مِنْها بَعْدُ .

صَرَخَ فوغ: « اِرْفَعْ عَلَمَكَ وَنادِ السَّفينَةَ !»

فَرَفَعَ بَنْسبي العَلَمَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْفَعْهُ حَتّى القِمَّةِ بَلْ إلى مُنْتَصَفِ المَسافَةِ فَقَطْ ، وَهُوَ الأمْرُ الّذي يَدُلُّ عَلى وُجودِ مُشْكِلَةٍ .

وَرَأى رُبّانُ الباخِرَةِ العَظيمَةِ عَلَمَ « تانكادير » في هَذا الوَضْعِ؛ فَأَدْرَكَ أنَّ هَؤُلاءِ الرِّجالَ يُواجِهونَ مُشْكِلَةً، فَأَصْدَرَ أوامِرَهُ بِنَجْدَتِهِمْ .

الفَصْلُ الثّالِثَ عَشَرَ

تُرى ما الّذي حَدَثَ عَلى ظَهْرِ الباخِرَةِ « كارناتيك » ؟

لَقَدْ غادَرَتِ الباخِرَةُ هونغ كونغ في السّادِسِ مِنْ نوفِمبر، وَكانَ باسبارتو مِنْ بَيْنِ رُكّابِها، فَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ ؟

بَعْدَ أنْ تَرَكَهُ فيكس عَلى الأرْضِ ، كانَ باسبارتو يَحْلُمُ بِالباخِرَةِ، فَنَهَضَ وَهُوَ لَمْ يُفِقْ تَماماً مِنْ نَوْمِهِ ، وَانْدَفَعَ مِنَ الغُرْفَةِ القَذِرَةِ وَهُوَ يَصْرُخُ: « الكارناتيك، الكارناتيك .»

وَكانَتِ الباخِرَةُ لا تَزالُ راسِيَةً في الميناءِ ، وَلَكِنَّ باسبارتو وَقَعَ عَلى الأرْضِ ، فَحَمَلَهُ بَعْضُ الرِّجالِ إلى الباخِرَةِ « كارناتيك » ، وَتَرَكوهُ في إحْدى الغُرَفِ. وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ مَرَّةً أُخْرى ، كانَتِ الباخِرَةُ عَلى بُعْدِ ٢٤٠ كيلومِتْراً مِنْ هونغ كونغ .

فَكَّرَ باسبارتو في أنَّ سَيِّدَهُ سَيَغْضَبُ مِنْهُ، وَقَرَّرَ أنْ يَعْثُرَ عَلَيْهِ، إلا أنَّهُ لَمْ يَتَوَصَّلْ إلَيْهِ أوْ إلى أودا ؛ إذْ أخْبَرَهُ ضُبّاطُ الباخِرَةِ أنَّ السَّيِّدَ فوغ غَيْرُ مَوْجودٍ عَلى ظَهْرِ الباخِرَةِ ، كَما أنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ امْرَأةٌ واحِدَةٌ ضِمْنَ رُكّابِ الباخِرَةِ .

فَأخَذَ باسبارتو يَصيحُ في انْفِعالٍ : « وَلَكِنَّني الآنَ في الباخِرَةِ « كارناتيك » ، وَذاهِبٌ إلى يو كوهاما !»

قالوا لَهُ : « فِعْلاً .»

وَعِنْدَئِذٍ تَذَكَّرَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ أنَّ الباخِرَةَ رَحَلَتْ في المَساءِ وَأنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ سَيِّدَهُ ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَلْحَقْ بِالباخِرَةِ ، إذاً فَقَدْ خَسِرَ سَيِّدُهُ الرِّهانَ، وَأنَّهُ هُوَ السَّبَبُ في هَذِهِ الخَسارَةِ .

بَدَأ باسبارتو يُفَكِّرُ في مَوْقِفِهِ هُوَ شَخْصِيّاً مِنْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ، وَفي أنَّهُ لا يَمْلِكُ حالِياً أيَّةَ نُقودٍ، وَأنَّهُ إذا كانَ يَسْتَطيعُ أنْ يَتَناوَلَ الآنَ الطَّعامَ في الباخِرَةِ « كارناتيك » ، فَكَيْفَ سَيَحْصُلُ عَلى الطَّعامِ في اليابانِ، وَمَنِ الَّذي سَيَشْتَريهِ لَهُ؛ وَمِنْ ثَمَّ حَرَصَ باسبارتو عَلى تَناوُلِ قَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ الطَّعامِ يَوْمِيّاً ، إذْ كانَ يَتَناوَلُ

نَصيبَهُ بِالإضافَةِ لِنَصيبِ سَيِّدِهِ وَنَصيبِ أودا أيْضاً .

وَفي اليَوْمِ الثّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ نوفِمْبر وَصَلَتِ الباخِرَةُ إلى يو كوهاما، فَغادَرَ باسبارتو الباخِرَةَ « كارناتيك » وَهُوَ غَيْرُ سَعيدٍ ، وَأخَذَ يَتَجَوَّلُ في الطُّرُقاتِ . وَرَأى أنَّ هَذِهِ المَدينَةَ تَتَمَيَّزُ بِالطّابَعِ الأوْرُبِّيِّ ، وَلَكِنَّ القَوْمَ قَدِموا مِنْ بِلادٍ مُخْتَلِفَةٍ .

ظَلَّ باسبارتو بِضْعَ ساعاتٍ يَتَجَوَّلُ عَلى غَيْرِ هُدًى حَتّى وَصَلَ إلى أطْرافِ المَدينَةِ ، حَيْثُ تَنْتَشِرُ الأزْهارُ الجَميلَةُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ في حاجَةٍ إلَيْها ، وَإنَّما لِلطَّعامِ.

حَلَّ المَساءُ ، فَعادَ باسبارتو إلى المَدينَةِ . وَفي اليَوْمِ التّالي شَعَرَ بِالتَّعَبِ الشَّديدِ ، وَاشْتَدَّتْ حاجَتُهُ إلى الطَّعامِ ، فَفَكَّرَ في أنْ يَبيعَ ساعَتَهُ مِنْ أجْلِ الحُصولِ عَلى بَعْضِ النُّقودِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُريدُ أنْ يَفْقِدَ ساعَتَهُ .

تَوَجَّهَ باسبارتو إلى أحَدِ المَتاجِرِ، حَيْثُ عَرَضَ ثِيابَهُ لِلْبَيْعِ ، ثُمَّ ابْتاعَ بَعْضَ المَلابِسِ اليابانِيَّةِ ، وَتَبَقّى لَدَيْهِ بَعْضُ النُّقودِ، فَاسْتَطاعَ أنْ يَتَناوَلَ شَيْئاً مِنَ الطَّعامِ . ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ:

« وَالآنَ ، يَجِبُ أنْ أغادِرَ بِلادَ الشَّمْسِ وَأرْحَلَ . سَأبْحَثُ عَنْ سَفينَةٍ لأذْهَبَ إلى أمريكا . يُمْكِنُني أنْ أطْهُوَ الطَّعامَ ، لِذا سَأعْمَلُ طاهِياً في إحْدى البَواخِرِ الأمْريكِيَّةِ، فَالمسافَةُ لا تَزيدُ على ٧٥٠٠ كيلومِتْرٍ فَقَطْ . ولَكِنْ تُرى هَلْ يُريدونَ طاهِياً؟ إنَّني أرْتَدي الآنَ المَلابِسَ اليابانِيَّةَ، فَهَلْ يَحْتاجونَ إلى طاهٍ يابانيٍّ ؟»

الفَصْلُ الرّابِعَ عشَرَ

لاحَظَ پاسپارتو، وَهُوَ في طَريقِهِ إلى البَحْرِ، أنَّ رَجُلاً يَحْمِلُ لافِتَةً كَبيرَةً مَكْتوباً عَلَيْها:

‹‹ الأنوفُ الطَّويلَةُ ! الأنوفُ الطَّويلَةُ !

تَعالَ لِتَرى الأنوفَ الطَّويلَةَ .

تَعالَ اليَوْمَ .

سَنَكونُ سَريعاً في أمريكا .

وِلْيام باتولكار ››

ظَنَّ پاسپارتو أنَّ هَذا الأمْرَ يُناسِبُهُ، ما دامَ سَيَصِلُ إلى أمريكا سَريعاً؛ فَتَتَبَّعَ الرَّجُلَ الَّذي يَحْمِلُ اللافِتَةَ حَتّى وَصَلا إلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ باتولكار، فَدَخَلَ .

سَأَلَهُ باتولكار: « ماذا تُريدُ ؟»

قالَ پاسپارتو: « هَلْ تَحْتاجُ لِخادِمٍ ؟»

« خادِمٌ! إنَّ لَدَيَّ اثْنَيْنِ لَمْ يَتْرُكاني قَطُّ، وأنا لا أدْفَعُ لَهُما أجْرًا، وَلَكِنَّني أقَدِّمُ لَهُما الطَّعامَ فَقَطْ، وَهُما مِنَ الخَدَمِ المُمْتازينَ، فَدَعْني أقَدِّمْهُما إلَيْكَ .»

قالَ پاسپارتو في أسًى : « إذًا ، أنْتَ لا تَحْتاجُ إلَيَّ .»

« هَذا صَحيحٌ . وَلَكِنْ هَلْ أنْتَ يابانِيٌّ؟ لِماذا تَرْتَدي مِثْلَ هَذِهِ الثِّيابِ؟ أ لَسْتَ فَرَنْسِيًا ؟»

« بَلى ، أنا مِنْ باريس .»

« وَهَلْ أنْتَ قَوِيٌّ ؟»

أجابَهُ پاسپارتو: « أصْبِحُ قَوِيًا بَعْدَ تَناوُلِ الطَّعامِ .»

« أ يُمْكِنُكَ الغِناءُ ؟»

« نَعَمْ ، يُمْكِنُني ذَلِكَ .»

صاحَ باتولكار: « حَسَنٌ ! إنَّني أقْبَلُكَ واحِدًا مِنْ رِجالي .»

وَلَمْ يَكُنْ پاسپارتو سَعيدًا بِهَذا المَوْقِفِ ، وَلَكِنْ كُلُّ ما كانَ

يُفَكِّرُ فيهِ هُوَ أمْريكا ، وَأنَّهُمْ سَيَذْهَبونَ سَريعًا إلى هُناكَ ، وَسَيَكونُ هُوَ مَعَهُمْ .

وَفي السّاعَةِ الثّالِثَةِ ، وَصَلَ جَمْعٌ غَفيرٌ مِنَ النّاسِ، واسْتَعَدّوا لِمُشاهَدَةِ عَرْضِ الأنوفِ الطَّويلَةِ الشَّهيرِ .

وَعَزَفَتِ الموسيقى ، فَرَقَصَ أحَدُ الرِّجالِ بِالأزْهارِ ، في حينِ أخَذَ رَجُلٌ آخَرُ يَسْتَخْدِمُ الدُّخانَ في كِتابَةِ كَلِماتٍ في الهَواءِ ، ثُمَّ قامَتْ مَجْموعَةٌ مِنَ الرِّجالِ بِقَذْفِ الأشْياءِ في الهَواءِ ثُمَّ الإمْساكِ بِها مَرَّةً أخْرى ، كَما قامَ رَجُلٌ آخَرُ بِتَحْويلِ الأشْياءِ إلى شُجَيْراتٍ .

وَكانَ هَؤُلاءِ الرِّجالُ يَضَعونَ عَلى وُجوهِهِمْ أنوفًا بالِغَةَ الطّولِ مَصْنوعَةً مِنَ الخَشَبِ، فَضَحِكَ المُشاهِدونَ عَلَيْهِمْ طَويلاً .

أعْطى باتولكار لِپاسپارتو أنْفًا طَويلاً ، فَأخَذَهُ الفَرَنْسِيُّ آسِفًا وَ وَضَعَهُ عَلى وَجْهِهِ ، ثُمَّ اتَّخَذَ مَكانَهُ بَيْنَ مَجْموعَةِ الأنوفِ الطَّويلَةِ وَجَلَسَ ، وَلَكِنَّهُ نَهَضَ فَجْأَةً وَانْدَفَعَ حَتّى وَصَلَ إلى أحَدِ المُشاهِدينَ ، وَصَرَخَ قائِلاً في فَرَحٍ :

« سَيِّدي! سَيِّدي !»

الفَصلُ الخامِسَ عشَرَ

لِماذا كانَ فوغ يُشاهِدُ عَرْضَ الأنوفِ الطَّويلَةِ ؟

ما إنْ رَفَعَ بَنْسبي العَلَمَ ورَآهُ رُبّانُ الباخِرَةِ العَظيمَةِ، حتّى اسْتَدارَ بِسفينَتِهِ، ولَمْ يَلْبَثْ أنْ لَحِقَ بِالقارِبِ الصَّغيرِ .

أعْطى فوغ لِبَنْسبي ٥٥٠ جُنَيْهاً ثُمَّ وَدَّعَهُ ، وَانْتَقَلَ في الحالِ إلى الباخِرَةِ الضَّخْمَةِ الّتي تَحْمِلُ اسْمَ « جنرال غرانت » ، حَيْثُ وَصَلَتْ إلى يوكوهاما في الرّابعَ عشَرَ مِنْ نوفَمْبر .

وَكانَتِ الباخِرَةُ « كارناتيك » تَنْتَظِرُ في يوكوهاما أيْضاً . وَعَلِمَ فوغ بِأمْرِ پاسپارتو، وَساقَتْهُ الصُّدْفَةُ إلى الذَّهابِ لِمُشاهَدَةِ عَرْضِ الأنوفِ الطَّويلَةِ، فَرآهُ خادِمُهُ هُناكَ .

قالَتْ أودا: « فيكس جاءَ مَعَنا .»

صاحَ فوغ في دَهْشَةٍ : « ماذا ! هَلْ أنْتَ هُنا ؟»

« نَعَمْ . إنَّني پاسپارتو، يا سَيِّدي العَزيزَ، يا سَيِّدي العَزيزَ !»

وَكانَ فوغ يُشاهِدُ عَرْضَ الأنوفِ الطَّويلَةِ، وَلَكِنَّهُ نَهَضَ في الحالِ قائلاً : « هَيّا مَعي ! يَجِبُ أنْ نَذْهَبَ إلى الباخِرَةِ .»

« وَلَكِنَّ السَّيِّدَ باتولكار سَيَغْضَبُ .»

قالَ فوغ: « ها هِيَ ذي بَعْضُ النُّقودِ ، إذا أعْطَيْتَها لَهُ فَلَنْ يَغْضَبَ . وَلَكِنْ لا تُضَيِّعِ الوَقْتَ .»



وَلكِنَّ پاسپارتو لَمْ يُوَضِّحْ لَهُمْ طَبيعَةَ عَمَلِ فيكس، وَأَسْرَعَ بِإزالَةِ أَنْفِهِ الطَّويلِ ، ثُمَّ اشْتَرى لَهُ فوغ بَعْضَ المَلابِسِ.

شَقَّت الباخِرَةُ « جنرال غرانت » عُبابَ البَحْرِ بِدونِ مَشاكِلَ. وَكانَتْ أودا لا تَزالُ مَعَهُما ، وَأَصْبَحَتْ تَميلُ إلى فوغ كَثيراً، وَتَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ مُعْظَمَ الوَقْتِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَحَدَّثُ إِلَيْها ؛ لِذا أَخَذَتْ تَتَحَدَّثُ مَعَ پاسپارتو .

قالَ فوغ يُحدِّثُهُما: « إِنَّنا نَتَقَدَّمُ تَقَدُّماً حَسَناً، فَقَدْ قَطَعْنا حَتّى الآنَ نِصْفَ الطَّريقِ تَقْريباً ، وَعَلَيْنا أَنْ نَجْتازَ أمريكا، الأَمْرُ الَّذي لَنْ يَكونَ عَسيراً .»

وَفي اليَوْمِ الثّالِثِ وَالعِشْرينَ مِنْ نُوفَمْبر ، كانوا في مُنْتَصَفِ المَسافَةِ تَماماً، وَعِنْدَ ذاكَ أَصْبَحَتْ ساعَةُ پاسپارتو مَضْبوطَةً تَماماً، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يُغَيِّرْها إطْلاقاً، وَلَكِنْ كانَ التَّوْقيتُ عِنْدَئِذٍ مُتَقَدِّماً عَلى تَوْقيتِ لَنْدَن بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ساعَةً ، وَهَذا ما كانَتْ تُشيرُ إِلَيْهِ ساعَةُ پاسپارتو .

كانَ فيكس بِصُحْبَتِهِمْ أَيْضاً عَلى ظَهْرِ الباخِرَةِ « جنرال غرانت » ، وَفي حَوْزَتِهِ أَمْرُ القَبْضِ الَّذي تَسَلَّمَهُ في يوكوهاما . وَكانَ في قِمَّةِ غَضَبِهِ لأَنَّهُ لَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ ؛ فَهُوَ لا يَسْتَطيعُ أَنْ

يَسْتَعْمِلَ في اليابان أَمْراً إنْجليزيّاً ، في حينِ كانَ في إِمْكانِهِ اسْتِخْدامُ أَمْرِ القَبْضِ نَفْسِهِ في هونغ كونغ ، لَوْ كانَ مُتَوَفِّراً لَدَيْهِ حينَذاكَ .

قالَ فيكس لِنَفْسِهِ: « وَلَكِن عَلَيَّ أَنْ أَتَعَقَّبَ اللِّصَّ حَتّى إِنْجِلْترا، وَسَوْفَ أُلْقي القَبْضَ عَلَيْهِ هُناكَ . وَلَكِنَّ المالَ لَنْ يَكونَ في حَوْزَتِهِ حينَذاكَ؛ فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ بِبَذَخٍ .»

كانَ فيكس مُصِرّاً عَلى تَعَقُّبِ فوغ ، وَحَدَثَ أَنْ رآهُ پاسپارتو فَاشْتَبَكَ الرَّجُلانِ في عِراكٍ ، وَناضَلَ پاسپارتو بِقُوَّةٍ ، الأَمْرُ الَّذي أَسْعَدَ بَعْضَ الأَمْريكِيّينَ الَّذينَ كانوا يُشاهِدونَ المُشاجَرَةَ . وَلَمْ يَلْبَثْ فيكس أَنْ سَقَطَ عَلى الأَرْضِ ، ثُمَّ وَقَفَ وَهُوَ يَقولُ لِپاسپارتو: « هَلْ فَرَغْتَ مِنْ هَذا الأَمْرِ ؟»

« نَعَمْ ، وَلَكِنَّني عَلى اسْتِعْدادٍ لِلْقِيامِ بِهِ مَرَّةً ثانِيَةً .»

قالَ فيكس : « تَعالَ مَعي ، أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ .»

وَتَوَجَّها مَعاً إلى مَكانٍ هادِئٍ ، حَيْثُ بادَرَهُ فيكس بِقَوْلِهِ : « إِنَّني كُنْتُ ضِدَّ سَيِّدِكَ، وَلَكِنَّني الآنَ صَديقُهُ .»

سَأَلَهُ پاسپارتو: « هَلْ تَميلُ إِلَيْهِ الآنَ ؟»

« لا ، لا أميلُ إلَيْهِ ، فَهُوَ لِصٌّ ، وَكُنْتُ أريدُ أنْ أمْنَعَهُ مِنْ قَبْلُ. وَكانَ في إمْكاني أنْ أقْبِضَ عَلَيْهِ في إحْدى الدُّوَلِ البريطانِيَّةِ، وَلَكِنْ كانَ يَنْقُصُني تَفْويضٌ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ؛ فَطَلَبْتُ المُساعَدَةَ مِنْ هَؤُلاءِ الرُّهْبانِ، لِذا لَمْ يَلْحَقْ بالباخِرَةِ في هونغ كونغ، فَهَلْ تَتَذَكَّرُ عِنْدَما كُنْتَ تُدَخِّنُ في ذَلِكَ المَكانِ ؟»

وَكانَ باسپارتو يَسْتَمِعُ إلَيْهِ في غَضَبٍ. واسْتَأْنَفَ فيكس حَديثَهُ قائِلاً: « كُلُّ هَذا كانَ مِنْ تَدْبيري . وَلَكِنَّ الأمْرَ يَخْتَلِفُ الآنَ ، وَلا يُمْكِنُني أنْ أقْبِضَ عَلَيْهِ في أمْريكا، لِذا فَأنا أريدُهُ في إنْجِلْترا ، وَيَجِبُ أنْ تُساعِدَني ، فَهَلْ نَحْنُ صَديقانِ الآنَ ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ باسپارتو قائِلاً : « لا ، لَسْنا بِصَديقَيْنِ .»

الفَصْلُ السّادِسَ عَشَرَ

وَصَلَتِ الباخِرَةُ « جنرال غرانت » إلى سان فرانسيسْكو في الثّالِثِ مِنْ ديسِمْبر، وَلَمْ يَكُنْ فوغ مُتَأخِّرًا، كَما لَمْ يَكُنْ مُتَقَدِّماً أيْضاً .

رَسَتْ بِهِمُ الباخِرَةُ في الصَّباحِ الباكِرِ، وَأخْبَرَهُمْ أحَدُ الرِّجالِ أنَّ ثَمَّ قِطاراً يَتَّجِهُ إلى نيويورك في السّاعَةِ السّادِسَةِ مِنْ مَساءِ اليَوْمِ نَفْسِهِ، فَتَوَجَّهوا إلى أحَدِ الفَنادِقِ وَاسْتَأجَروا غُرْفَةً ، ثُمَّ ذَهَبَ باسپارتو في جَوْلَةٍ بِالمَدينَةِ الَّتي تَعِجُّ بِالمَتاجِرِ الضَّخْمَةِ وَالمَباني الشّاهِقَةِ ؛ إذْ كانَ يُحِبُّ المُدُنَ المُزْدَحِمَةَ .

أمّا فوغ وَأودا فَتَناوَلا مَعاً إفْطاراً شَهِيّاً في الفُنْدُقِ، ثُمَّ انْصَرَفا. وَفَجْأةً قابَلا فيكس في الطَّريقِ مَرَّةً أخْرى ، وَبَدَتْ عَلى وَجْهِ فيكس عَلاماتُ الدَّهْشَةِ البالِغَةِ ، وَصاحَ قائِلاً:

« هَلْ عَبَرْنا البَحْرَ مَعاً وَفي الباخِرَةِ نَفْسِها ؟! إنَّنا لَمْ نَلْتَقِ،

وَهَذا أمْرٌ غَريبٌ جِدًّا !»

وَسارَ مَعَهُما ، فَلاحَظوا وَهُمْ يَتَجَوَّلونَ وُجودَ جَمْهَرَةٍ مِنَ النّاسِ ، بَعْضُهُمْ يَصيحُ قائِلاً: « نُريدُ كمرفيلد! نُريدُ كمرفيلد !»

في حينِ يَصيحُ فَريقٌ آخَرُ: « نُريدُ ماندييوي ! نُريدُ ماندييوي! ماندييوي هُوَ الرَّجُلُ المُناسِبُ ! ماندييوي هُوَ الرَّجُلُ المُناسِبُ !»

وَبَدَأَتِ الضَّوْضاءُ تَزْدادُ ، وَعَلا الصِّياحُ .

سَأَلَ فيكس: « مَنْ هُما الرَّجُلانِ؟ مَنْ كمرفيلد؟ وَمَنْ ماندييوي؟ ماذا يُريدُ هَؤُلاءِ القَوْمُ ؟ وَلِماذا يَصيحونَ هَكَذا ؟ ما الَّذي يَحْدُثُ ؟»

أجابَهُ فوغ : « لا أدْري .»

أخَذَتِ الجَلَبَةُ تَزْدادُ حِدَّةً ، فَاضْطُرَّ فيكس إلى الصِّياحِ قائِلاً:

« هُناكَ رَجُلانِ مِنْ ذَوي الشَّأنِ ، أحَدُهُما السَّيِّدُ كمرفيلد وَالآخَرُ السَّيِّدُ ماندييوي ، وَبَعْضُ هَؤُلاءِ النّاسِ أصْدِقاءُ لِماندييوي وَالبَعْضُ الآخَرُ أصْدِقاءُ كمرفيلد . وَلَكِنْ ماذا يُريدُ النّاسُ ؟»

وَفَجْأةً تَعالَتْ صَرَخاتٌ تُعْلِنُ عَنْ قِيامِ مُشاجَرَةٍ ، وَبَدَأَ الرِّجالُ يَقْذِفونَ الحِجارَةَ ، ثُمَّ نَزَعوا أحْذِيَتَهُمْ وَأخَذوا يَقْذِفونَها أيْضاً،

وَامْتَلأَ الجَوُّ بِالصَّرَخاتِ ، بِالإضافَةِ لِقَذائِفِ الحِجارَةِ وَالأحْذِيَةِ .

قالَ فيكس: « يَجِبُ ألا نَبْقى هُنا، عَلَيْنا أنْ نَبْتَعِدَ .»

وَلَكِنَّ القَوْمَ كانوا يَصيحونَ ، فَريقٌ في جانِبٍ يَصيحُ: ماندييوي، وَفي مُواجَهَتِهِمْ فَريقٌ آخَرُ يَصيحُ: كمرفيلد . وَبَيْنَ الفَريقَيْنِ كانَ يَقِفُ كُلٌّ مِنْ أودا وفوغ وَفيكس، لا يَسْتَطيعونَ الحَراكَ هُنا أوْ هُناكَ.

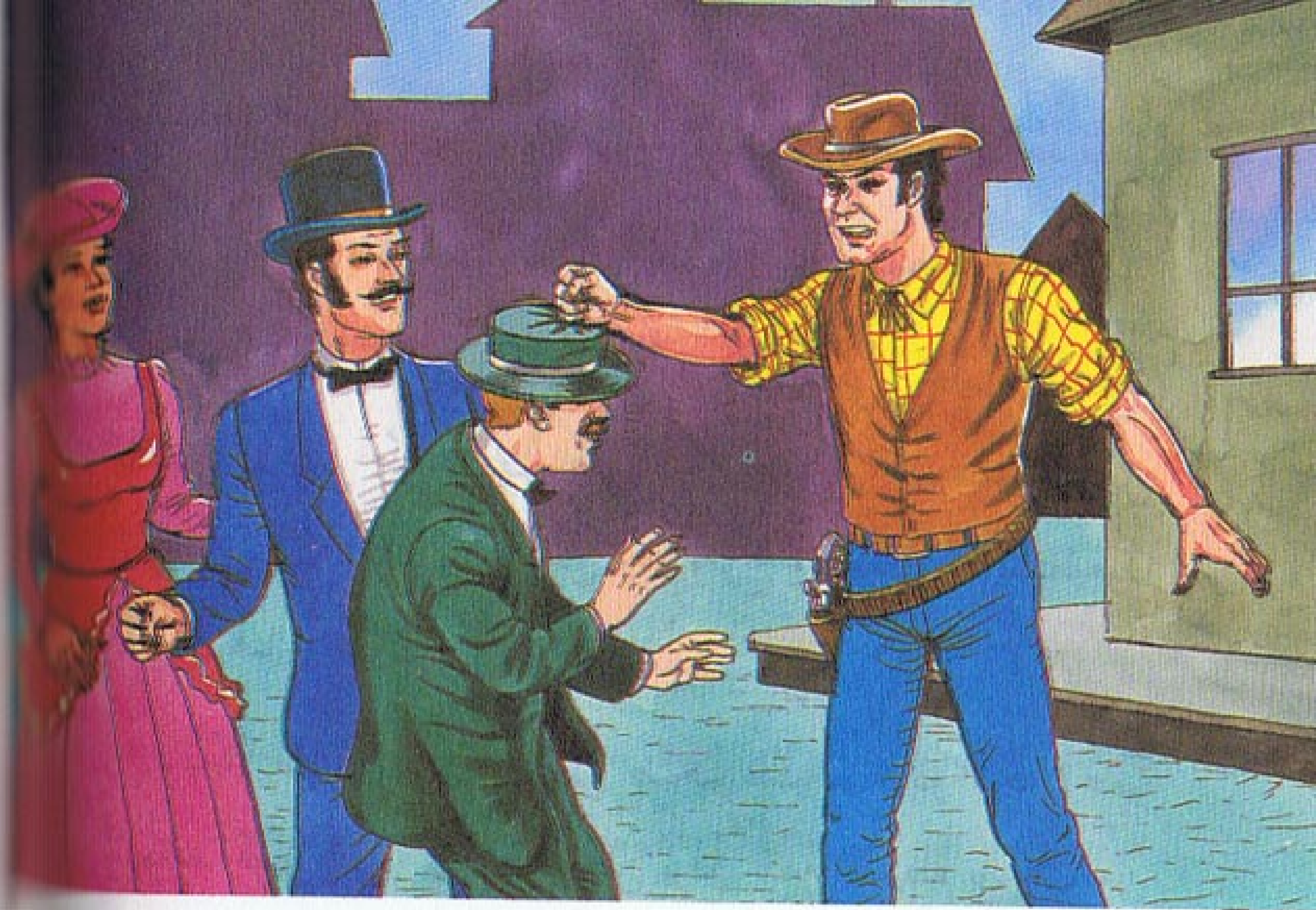
وَفَجْأةً ظَهَرَ أمامَهُمْ شَخْصٌ ضَخْمُ البُنْيانِ ، ذو وَجْهٍ أحْمَرَ وَسَواعِدَ قَوِيَّةٍ ، وَإذا بِهَذا الشَّخْصِ يَرْفَعُ كَفَّهُ الغَليظَةَ بِالقُرْبِ مِنْ وَجْهِ فوغ ، ثُمَّ هَوى بِها في قَسْوَةٍ ، وَلَكِنَّ فيكس أسْرَعَ بِالتَّدَخُّلِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَهَوَتِ اليَدُ الثَّقيلَةُ فَوْقَ قُبَّعَةِ فيكس ، فَدَفَعَتْ بِها فَوْقَ عَيْنَيْهِ .

صاحَ فوغ قائِلاً: « مَنْ أنْتَ ؟»

قالَ الرَّجُلُ الضَّخْمُ صارِخاً: « إنَّكَ إنْجِليزِيٌّ !»

« نَعَمْ ، وَاسْمي فيلياس فوغ ، فَما اسْمُكَ أنْتَ ؟»

« الكولونيل ستامب بروكْتور .»



وَ تحرَّكَتِ الجَماهيرُ بِشِدَّة ، فَدَفَعَتْ بِفيكس إلى الأرْضِ ، وَلكِنَّهُ نَهَضَ مَرَّةً ثانِيَةً بَعْدَ أنِ اتَّسخَتْ مَلابِسُهُ بِشِدَّةٍ، فَشَكَرَهُ فوغ على مُسانَدَتِه، فَرَدَّ عَلَيْهِ فيكس قائِلاً: « لا داعِيَ لِلشُّكْرِ ، وَلَكِنْ تَعالَ مَعي ، فَإنَّنا نَحتاجُ لِبَعْضِ المَلابِسِ الجَديدَةِ .»

وَفي المَساءِ ذَهَبوا إلى المَحطَّةِ ، حَيْثُ كانَ القِطارُ واقِفاً .

الفَصْلُ السّابعَ عَشَرَ

بَدَأتْ رِحْلَةُ القِطارِ ، فَقالَ فوغ : « ثَمَّةَ باخِرَةٌ سَتُغادِرُ نيويورك يوم ٢١ ديسمبِر، وَسَتَحْمِلُنا إلى ليڤربول .»

وَكانَ الرُّكّابُ يَجْلِسونَ في عَرَبَةٍ مُسْتَطيلَةٍ تَسْمَحُ لَهُمْ بِالتَّجْوالِ خِلالَها . وَكانَ الجَوُّ بارِداً وَالظَّلامُ حالِكاً ، وَبَدَأ الجَليدُ يَتَساقَطُ خارِجَ نَوافِذِ القِطارِ .

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي وَصَلوا إلى نيڤادا . وَفي المَساءِ وَصَلوا إلى أوتاوا، وَكانَ الجَوُّ هُناكَ شَديدَ البُرودَةِ . وَسُرْعانَ ما أصْبَحوا بِجوارِ البُحَيْرَةِ العَظيمَةِ، وَهِيَ بُحَيْرَةٌ يَصِلُ طولُها إلى حوالى ١٠٠ كيلومِترٍ، وَيَبْلُغُ عَرْضُها حوالى ٥٦ كيلومِتْراً ، وَتَقَعُ بَيْنَ الجِبالِ عَلى ارْتِفاعٍ يَصِلُ إلى ١٣٠٠ مِتْرٍ فَوْقَ سَطْحِ البَحْرِ .

وَفي السّاعَةِ الثّانِيَةِ وَصَلوا إلى أوغدن، فَغادَروا القِطارَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا في المَدينَةِ سِوى قِلَّةٍ مِنَ النّاسِ ، وَ وَجَدوا الشَّوارِعَ

خاليةً مِنَ المارّةِ تقْريباً .

ثُمَّ غادرَ القِطارُ منْطَقةَ البُحيْرةِ العظيمةِ وأوغدن ، وبَدأَ يَصعَدُ الجبالَ . وَسرْعانَ ما وَجدوا أنْفُسَهُمْ على ارْتفاعٍ شاهِقٍ ، حيْثُ أمْكنَهُمْ رُؤْيَةُ مجْموعةٍ مِنَ الأنْهارِ الصَّغيرةِ .

وبِحُلولِ اللَّيْلِ وَصلوا إلى وايمنغ . وَفي اليَوْمِ التّالي المُوافقِ لِلسّابعِ مِنْ ديسمْبر توقَّفَ القِطارُ عِنْدَ غرين ريڤر ؛ إذْ كانَ الجَليدُ يكْسو الأرْضَ ، الأمْرُ الَّذي بَلْبَلَ أفْكارَ پاسپارتو وَأدْخلَ الرَّوْعَ إلى نَفْسِهِ ، فَأخذَ يُهَمْهِمُ لِنَفْسِهِ قائلاً :

« إنَّ هَذا الجليدَ سَيعوقُ عَجلاتِ القاطِرةِ مِمّا سَيَتَسبَّبُ في تَأخيرِنا ، لِماذا قَبِلَ سَيِّدي أنْ يَقومَ بِالرِّحْلَةِ في الشِّتاءِ ؟ ألَمْ يَكُنْ في وُسْعهِ الانْتظارُ لِحينِ حُلولِ الصَّيْفِ ؟! »

وَكانَتْ أودا أيْضاً خائِفَةً ، وَلَكِنْ لأسْبابٍ أخْرى ؛ إذْ كانَتْ تتَطلَّعُ مِنَ النّافذَةِ، فَلاحَظَتْ وُجودَ زُمْرَةٍ مِنَ الرِّجالِ تَضُمُّ بَيْنَها الكولونيل ستامب بروكْتور، فَتَذكَّرتْ مَدينَةَ سان فرانسيسْكو وَصَيْحاتِ بروكْتور الغاضِبَةَ . وَأخَذَتْ تُفكِّرُ في فوغ وَالرِّهانِ فَتحرَّكَتْ سَريعاً بَعيداً عَنِ النّافذَةِ ، فَلَمْ يَرَها الكولونيل حينَئِذٍ . ثُمَّ أخْبرَتْ فيكس وَپاسپارتو بِمَوْضوعِ الكولونيل بروكْتور ،

وأضافَتْ في حُزْنٍ: « رُبَّما يَتعارَكُ هَذا الرَّجُلُ مَعَ السَّيِّدِ فوغ . »

صَرَخَ فيكس قائلاً: « هَلْ هَذا الشَّخْصُ هُنا في القِطارِ ؟ لا تَخافي ! سوْفَ أتعامَلُ مَعَهُ . »

قالَ پاسپارتو: « وَأنا أيْضاً أريدُ أنْ أتعامَلَ مَعه . »

« وَلَكِنَّ السَّيِّدَ فوغ يُريدُ أنْ يَتَصرَّفَ مَعَهُ. أ لا تَتَذكَّرُ أنَّهُ يُريدُ أنْ يَعْثُرَ عَلَيْهِ؟ وَبالتَّأكيدِ سَيَرى الكولونيل، وَعِنْدئِذٍ سَيَتَعارَكانِ . »

قالَ پاسپارتو: « يَجِبُ أنْ نَمْنَعَ ذَلِكَ، وَيَجِبُ ألا يَرى سَيِّدي هَذا الرَّجُلَ، وَعَلَيْنا أن نَجْعَلَهُ يَمْكُثُ في القِطارِ وَلا يَخْرُجُ . »

قالَ فيكس: « إنَّهُ الصَّوابُ بِعَيْنِه . »

وَلَمْ يَسْمَعْ فوغ هَذا الحَديثَ لِكَوْنِه نائِماً ، وَلَكنَّه اسْتَيْقَظَ بَعْدَ قَليلٍ ، فَاسْتَدارَ فيكس نَحْوَهُ قائلاً: « إنَّ الوَقْتَ يَمُرُّ بَطيئاً في القِطارِ ، يا سَيِّدُ فوغ ، فَما رأْيُكَ في لَعِبِ الوَرَقِ ؟ »

رَحَّبَ فوغ بِهَذا العَرْضِ، فَجَلَسَ فيكس وَأودا مَعَهُ ، ثُمَّ بَدءوا جَميعاً جَوْلَةً مِنْ لَعِبِ الوَرَقِ، فَشَعَرَ پاسپارتو بِالارْتياحِ ؛ لأنَّ سَيِّدَهُ لَمْ يُلاحِظْ وُجودَ الكولونيل . وَلَكِنْ حَدَثَ أنْ تَوَقَّفَ القِطارُ ، وَلَمْ يَتَمكَّنْ مِنْ عُبورِ الجِسْرِ في مِنْطَقَةِ ميدسين باو ،

فَخرَجَ پاسپارتو لِلسُّؤالِ عَنِ السَّبَبِ ، فَقالَ أحَدُ الرِّجالِ إنَّ الجِسْرَ ضَعيفٌ وَسَيَتحطَّمُ . وَغادَرَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الرُّكّابِ القِطارَ، وَأخَذوا في الاسْتِفْسارِ . وَتَساءَلَ الكولونيل ستامب برو كْتور: « وَإلى مَتى سَنَظَلُّ هُنا ؟»

أجابَهُ رَجُلٌ : « يَجِبُ أنْ نَذْهَبَ إلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ النَّهْرِ، لأنَّ هُناكَ قِطاراً سَيَصِلُ إلى ميدسين باو خِلالَ ٦ ساعاتٍ .»

صاحَ پاسپارتو: « سِتُّ ساعاتٍ !»

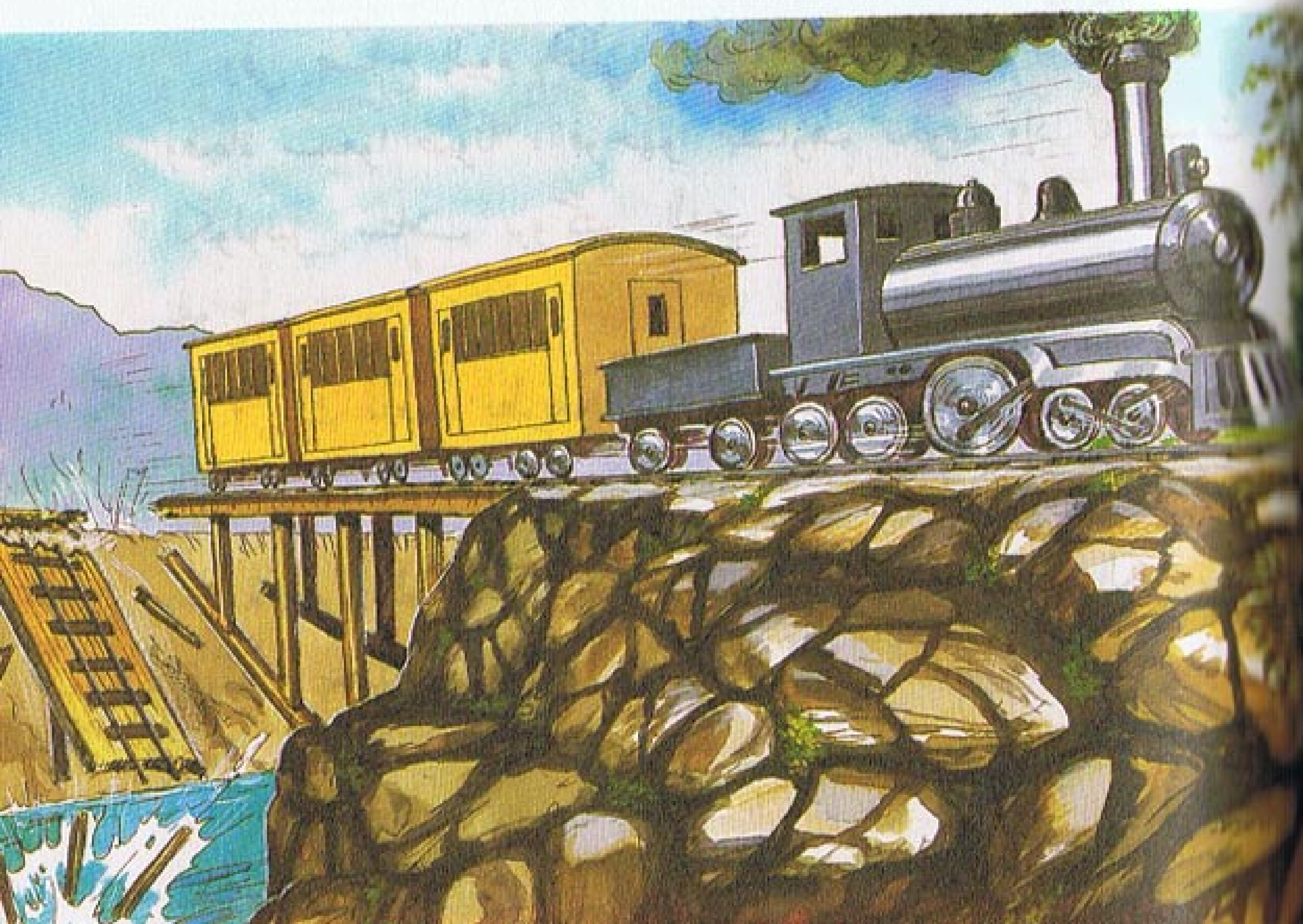
اِسْتَطْرَدَ الرَّجُلُ: « إنَّنا بِالفِعْلِ نَحْتاجُ لِهَذِهِ السّاعاتِ، إذْ عَلَيْنا أنْ نَسيرَ إلى ميدسين باو، أي أنَّنا سَنَقْطَعُ ما يَقْرُبُ مِنْ ١٦ كيلومِتْرًا في اتِّجاهِ النَّهْرِ ، ثُمَّ عَلَيْنا بَعْدَ ذَلِكَ أنْ نَعْبُرَ النَّهْرَ ، ثُمَّ نَعودَ مَسافَةَ ١٦ كيلومِتْراً أُخْرى بِامْتِدادِ هَذِهِ الضِّفَّةِ، وَبِذَلِكَ نَصِلُ إلى ميدسين باو. وَلِذَلِكَ فَنَحْنُ سَنَحْتاجُ إلى ٦ ساعاتٍ .»

وَلكِنْ لَمْ تَرُقْ هَذِهِ الفِكْرَةُ بَعْضَ الرُّكّابِ ، حَيْثُ انْبَرى مُواطِنٌ أمْريكِيٌّ قائِلاً: « يُمْكِنُ لِلْقِطارِ أنْ يَعْبُرَ الجِسْرَ بِأنْ يَرْجِعَ لِلْخَلْفِ ثُمَّ يَتَقَدَّمَ لِلأمامِ بَعْدَ ذَلِكَ وَبِمُنْتَهى السُّرْعَةِ ، بِحَيْثُ يَعْبُرُ الجِسْرَ في أقْصَرِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ ، وَقَدْ يَنْهارُ الجِسْرُ ، وَلكِنَّ القِطارَ سَيَكونُ قَدْ عَبَرَهُ بِالفِعْلِ قَبْلَ حُدوثِ الانْهيارِ .»

لاقَتْ هَذِهِ الفِكْرَةُ اسْتِحْسانَ عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الرُّكّابِ، وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ رَفَضَها . أمّا پاسپارتو فَكانَتْ لَدَيْهِ فِكْرَةٌ أُخْرى ، حَيْثُ قالَ: « يُمْكِنُ لِلرُّكّابِ أنْ يَعْبُروا الجِسْرَ سَيْراً عَلى الأقْدامِ ، عَلى أنْ يَلْحَقَ بِهِمُ القِطارُ بَعْدَ ذَلِكَ .»

وَلكِنَّ لَمْ يَسْتَمِعْ إلَيْهِ أحَدٌ ، وَ أسْرَعوا بِالصُّعودِ إلى القِطارِ .

تَقَهْقَرَ القِطارُ إلى الوَراءِ لِمَسافَةِ كيلومِتْرَيْنِ تَقْريباً، ثُمَّ بَدَأ في التَّقَدُّمِ لِلأمامِ ، وَسُرْعانَ ما تَحَرَّكَ بِسُرْعَةٍ كَبيرَةٍ حَتّى أصْبَحَ بِالقُرْبِ مِنَ الجِسْرِ ، وَها هُمْ أولاءِ فَوْقَهُ الآنَ . وَأخيراً عَبَروا الجِسْرَ . الذي انْهارَ بَعْدَ ذَلِكَ .



الفصلُ الثّامنَ عشرَ

اِسْتأنفَ القطارُ رِحْلَتَهُ . وبِحُلولِ المَساءِ وَصلَ إلى أعْلى مِنْطَقَةٍ، على امْتدادِ مَسارِ الخطِّ الحَديديِّ ، الّتي تَرْتَفِعُ حوالى ٢٦٠٠ مِترٍ فَوْقَ سطْحِ البَحْرِ، وَعلى مَبْعدةِ ٢٠٠٠ كيلومِتْرٍ مِنْ مَدينَةِ سان فرانسيسْكو . ثُمَّ وَصلَ القِطارُ في هَذِهِ اللَّيْلَةِ إلى مَدينَةِ نبراسكا .

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي اسْتَأنفوا لَعِبَ الوَرقِ مَرَّةً أخْرى . وَفجْأةً سَمِعوا صَوْتًا ، فَوَجَّهوا أبْصارَهُمْ نَحْوَهُ، وَإذا بِهِ صَوْتُ الكولونيل ستامب بروكْتور الّذي كانَ يُتابِعُ اللَّعِبَ ، وَقال لِفوغ:

« إنَّكَ تَلْعَبُ بِطَريقَةٍ رَديئَةٍ ! إنَّكَ تَجْهَلُ الكَثيرَ عَنْ هَذِهِ اللُّعْبَةِ.»

فَنَهَضَ كُلٌّ مِنْ فيلياس فوغ وَفيكس ، الّذي بادَرَ الكولونيل بِقَوْلِهِ: « عَلَيْكَ أنْ تَتَعامَلَ مَعي أنا . أ لا تَتَذَكَّرُني ؟»

وَلَكِنَّ فوغ لَمْ يَقْبَلْ مُساعَدَةَ فيكس ، وَقالَ :

« لَقَدْ ضِقْتُ ذَرْعًا بِهذا الشَّخْصِ ، وَسأَتَعامَلُ مَعَهُ الآنَ. هَيّا ، يا سَيِّدي ، اُخْرُجْ .»

ثُمَّ فَتَحَ فوغ البابَ وَخرَجَ ، وَهَمَّ پاسپارتو بِدَفْعِ الكولونيل خارِجَ البابِ وَلَكِنَّ فوغ مَنَعَهُ، ثُمَّ خَرَجَ الكولونيل وَلَحِقَ بِفوغ .

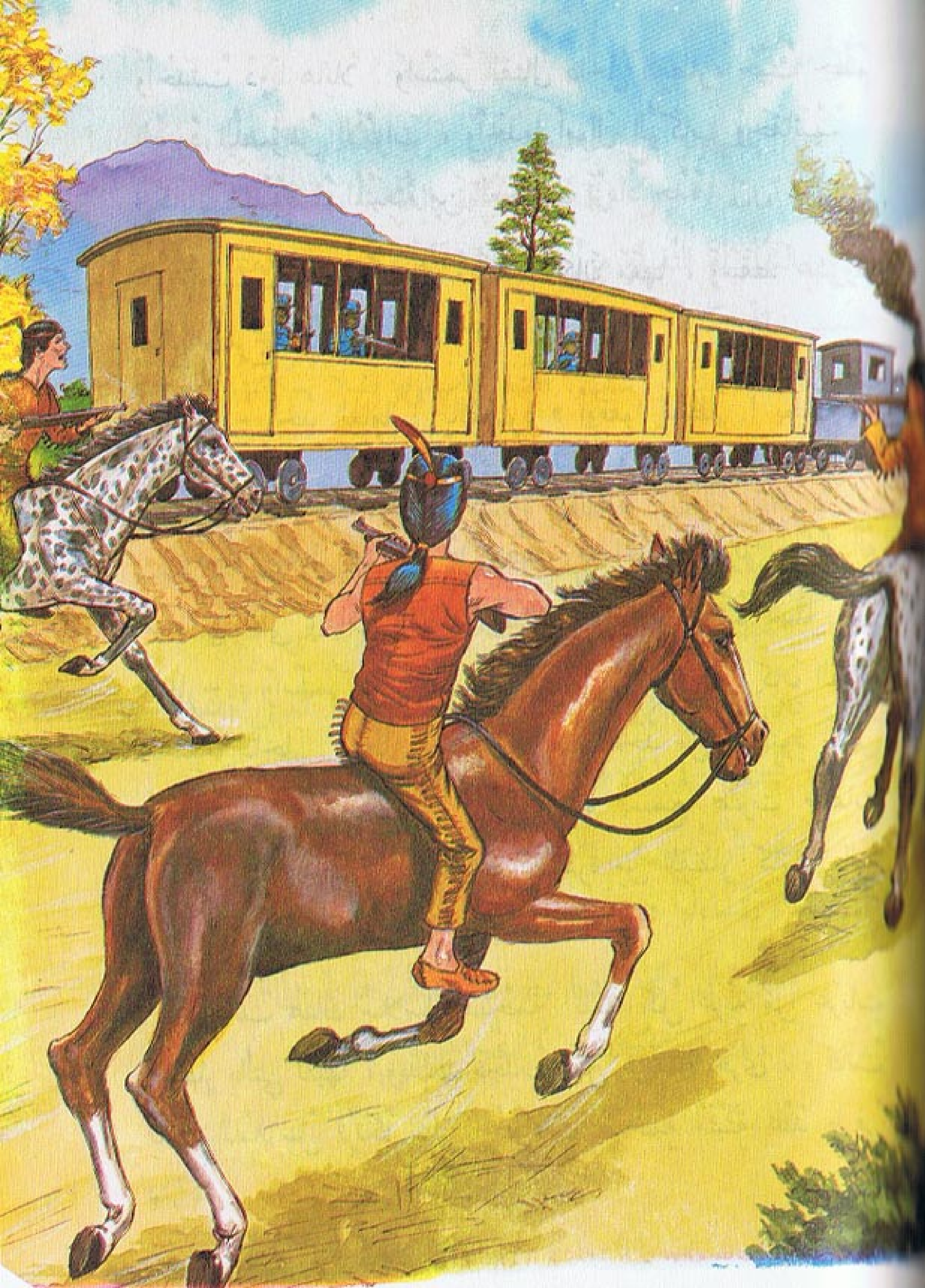
قالَ فوغ : « سَيِّدي ، أتَمَنّى أنْ أعودَ لأوربّا، بَلْ أتَمَنّى أنْ أعودَ إلَيْها سَريعًا ، لأنَّني في عَجَلَةٍ مِنْ أمْري ، وَلَكِنَّني سَأعودُ خِلالَ سِتَّةِ أشْهُرٍ، وَيُمْكِنُنا حينَئِذٍ أنْ نَتَقاتَلَ . فَهَلْ تُوافِقُ عَلى هَذا العَرْضِ ؟»

صاحَ الكولونيل: « إنَّكَ خائِفٌ ! قاتِلْني في المَحطَّةِ التّالِيَةِ – وَهِيَ مَحَطَّةُ بلام كريك .»

أجابَهُ فوغ : « لَمْ أكُنْ أريدُ أنْ أتوقَّفَ، وَلَكِنَّني سَأتَوَقَّفُ في بلام جريك .»

رَدَّ عَلَيْهِ الكولونيل: « وَلَنْ تُغادِرَها أبَدًا !»

وَما إنْ وَصَلَ القِطارُ إلى بلام كريك حَتّى اتَّجَهَ الرَّجُلانِ نَحْوَ البابِ ، وَلَكِنَّ رَجُلاً ناداهُما في هَذِهِ اللَّحْظَةِ قائِلاً: « اُمْكُثا في



القِطارِ، فَإِنَّنا تأخَّرْنا كَثيراً . سَيَسْتَأْنِفُ القِطارُ رِحْلَتَهُ في الحالِ.»

« وَلٰكِنَّنا نُريدُ أَنْ نَتَقاتَلَ هُنا .»

« عَلَيْكُما أَنْ تَتَقاتَلا في القِطارِ .»

قالَ فوغ : « سَنَفْعَلُ ذٰلِكَ .»

وَسارَ الرَّجُلانِ إِلى عَرَبَةِ القِطارِ الأَخيرَةِ ، وَاسْتَعَدّا لِلنِّزالِ . وَكانَ الأَمْرُ هَيِّناً لِلْغايَةِ ، حَيْثُ الْتَقَطَ كُلٌّ مِنْهُما مُسَدَّسَهُ ثُمَّ سارا إِلى طَرَفَيْنِ مُتَقابِلَيْنِ مِنَ العَرَبَةِ .

وَأَمْسَكَ الرَّجُلانِ بِالْمُسَدَّسَيْنِ وَاسْتَعَدّا لِلْقِتالِ ، وَفَجْأَةً سَمِعا عِدَّةَ صَيْحاتٍ تَتَرَدَّدُ بِالخارِجِ ، وَتُنْبِئُ بِأَنَّ قِتالاً يَدورُ ؛ فَانْدَفَعَ فوغ وَبروكْتور خارِجَ العَرَبَةِ وَالْمُسَدَّسانِ لا يَزالانِ في أَيْديهِما .

وَتَبَيَّنَ أَنَّ بَعْضَ الهُنودِ الحُمْرِ يُهاجِمونَ القِطارَ، وَكانَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الرُّكّابِ يُقاتِلونَ في بَسالَةٍ ، وَكانَ مَعَ بَعْضِهِمْ مُسَدَّساتٌ يُحْسِنُ اسْتِخْدامَها .

وَأَرادَ أَحَدُ الهُنودِ أَنْ يوقِفَ القِطارَ، فَقَفَزَ إِلى القاطِرَةِ، وَلٰكِنَّهُ فَشِلَ في القِيامِ بِذٰلِكَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلى دِرايَةٍ بِتَشْغيلِ القاطِراتِ ، وَلَمْ يَتَوَقَّفِ القِطارُ بَلِ ازْدادَتْ سُرْعَةُ العَجَلاتِ

وَأَحْدَثَتْ دَوِيًّا هائِلاً . وَاسْتَمَرَّ القِتالُ داخِلَ القِطارِ، حَيْثُ حَطَّمَ الهُنودُ اللُّصوصُ الأَبْوابَ ، وَأَخَذوا أَموالَ الرُّكّابِ وَحَقائِبَهُمْ . وَكانَتِ الضَّوْضاءُ المُنْبَعِثَةُ مِنَ العَجَلاتِ تَزْدادُ حِدَّةً .

وَأَحْسَنَتْ أُودا اسْتِخْدامَ مُسَدَّسٍ كانَ مَعَها ، وَسَقَطَ عِشْرونَ هِنْدِيًّا خارِجَ القِطارِ .

وَصاحَ أَحَدُ العامِلينَ بِالقِطارِ: « أَوْقِفوا القِطارَ ! يَجِبُ أَنْ يَتَوَقَّفَ قَبْلَ فورت كيرني ، أَوْقِفوا القِطارَ !»

وَفَجْأَةً سَقَطَ هَذا الرَّجُلُ مَيِّتًا، فَصاحَ پاسپارتو مُعْلِنًا أَنَّهُ سَيَعْمَلُ عَلى إِيقافِ القِطارِ، وَفَتَحَ أَحَدَ الأَبْوابِ ثُمَّ تَسَلَّلَ إِلى الخارِجِ ، وَاسْتَمَرَّ في القَفْزِ مِنْ عَرَبَةٍ إِلى أُخرى . وَكانَ القِتالُ مُحْتَدِمًا داخِلَ القِطارِ ، فَلَمْ يُلاحِظْهُ أَحَدٌ مِنَ الهُنودِ الَّذين وَاصَلوا الهُجومَ ، وَلَكِنَّ پاسپارتو لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ طَلَقاتِ رَصاصِ الرُّكّابِ؛ لأَنَّ الجَلَبَةَ الصّادِرَةَ مِنَ القِطارِ كانَتْ بالِغَةَ الحِدَّةِ .

وَكانَتْ هُناكَ سَلاسِلُ ضَخْمَةٌ تَشُدُّ كُلَّ عَرَبَةٍ مِنْ عَرَباتِ القِطارِ بِالَّتي تَليها ، وَبِذَلِكَ تَجْذِبُ كُلُّ عَرَبَةٍ الأُخرى . وَكانَتْ تِلْكَ السَّلاسِلُ تَرْتَكِزُ عَلى خُطّافاتٍ ضَخْمَةٍ مُثَبَّتَةٍ عِنْدَ طَرَفَي

كُلِّ عَرَبَةٍ .

نَجَحَ پاسپارتو في الوُصولِ إِلى عَرَبَةِ القِطارِ الأَمامِيَّةِ، فَرَأى القاطِرَةَ أَمامَهُ لا تَزالُ تَتَقَدَّمُ بِسُرْعَةٍ بالِغَةٍ . وَنَجَحَ پاسپارتو في نَزْعِ السِّلْسِلَةِ الثَّقيلَةِ مِنْ خُطّافِها، وَلَمْ يَكُنْ هَذا العَمَلُ بِالأَمْرِ اليَسيرِ، إِذْ كانَ القِطارُ يَجْري بِسُرْعَةٍ مِمّا تَسَبَّبَ في دَفْعِ الخُطّافاتِ لأَعْلى وَلأَسْفَلَ، فَانْتَظَرَ پاسپارتو قَليلاً ثُمَّ انْتَهَزَ الفُرْصَةَ المُناسِبَةَ ، وَأَسْرَعَ بِرَفْعِ طَرَفِ السِّلْسِلَةِ ثُمَّ أَسْقَطَهُ بَعيدًا ؛ فَتَحَرَّرَتِ السِّلْسِلَةُ مِنْ قَبْضَةِ الخُطّافِ وَأَصْبَحَ طَرَفُها طَليقًا، وَإِذْ بِالقاطِرَةِ تَتَقَدَّمُ وَحْدَها لِلأَمامِ وَبِدونِ العَرَبَةِ الَّتي تَليها، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ عَرَباتُ القِطارِ أَنْ تَوَقَّفَتْ ، أَمّا القاطِرَةُ فَاسْتَمَرَّتْ في طَريقِها .

وَكانَ القِتالُ دائِرًا . وَفَجْأَةً ظَهَرَ بَعْضُ الجُنودِ الَّذينَ قَدِموا مِنْ فورت كيرني ، وَما إِنْ رَآهُمُ الهُنودُ حَتّى أَسْرَعوا بِالفِرارِ .

وَهَبَطَ الرُّكّابُ مِنَ القِطارِ ، وَشاهَدوا السِّلْسِلَةَ المُدَلاةَ في المُقَدِّمَةِ ،وَتَساءَلوا في دَهْشَةٍ : « مَنِ الَّذي قامَ بِهَذا العَمَلِ ؟»

وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ أَثَرٌ لِپاسپارتو، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ فوغ مِنَ العُثورِ عَلَيْهِ. تُرى أَيْنَ ذَهَبَ ذَلِكَ الفَرَنْسِيُّ الشُّجاعُ ؟

الفَصْلُ التّاسع عشر

كانَ الكولونيل بروكْتور في حالَةٍ صِحّيَّةٍ سَيِّئَةٍ جَعلَتْهُ لا يَقْوى على السَّيْرِ، فَحمَلَهُ بَعْضُ الرِّجالِ إلى أحَدِ الأطِبّاءِ .

وَغادَرَ الرُّكّابُ القِطارَ .

وَكانَ فوغ مُسْتَغْرِقًا في التَّفْكيرِ، ثُمَّ سَأَلَ أودا: « هَلْ نَسْتَمِرُّ في السَّيْرِ أمْ أبْحَثُ عَنْ پاسپارتو ؟»

لَمْ تُجِبْ أودا، فَقالَ فوغ : « يَجِبُ أنْ أعْثُرَ عَلَيْهِ، وَرُبَّما يُساعِدُني الجُنودُ في ذَلِكَ . إنَّ پاسپارتو رَجُلٌ شُجاعٌ ، ولا أقْوى على تَرْكِهِ مَعَ الهُنودِ الحُمْرِ .»

قالَتْ أودا: « وَلَكِنَّكَ لَنْ تَلْحَقَ بِسَفينَتِكَ في نيويورك .»

قابَلَ فوغ أحَدَ الضُّبّاطِ في فورت كيرني فبادَرَهُ بِقَوْلِهِ : « سَيِّدي ، ثَمَّ بَعْضُ الرِّجالِ قَدْ فُقِدوا، وَيَجِبُ أنْ نَعْثُرَ عَلَيْهِمْ

وَنُنْقِذَهُمْ .»

قالَ الضّابِطُ: « لا أسْتَطيعُ مُغادَرَةَ فورت كيرني ، يَجِبُ أنْ أظَلَّ هُنا، فَقَدْ يَعودُ الهُنودُ مَرَّةً أخْرى .»

قالَ فوغ: « وَلَكِنْ لا يُمْكِنُ أنْ نَتْرُكَ ثَلاثَةَ رِجالٍ، إنَّني سَأذْهَبُ بِمُفْرَدي لِلْبَحْثِ عَنْهُمْ .»

سَمِعَ فيكس حَديثَ فوغ فَصاحَ قائِلاً: « أنْتَ ، يا سَيِّدي ، بِمُفْرَدِكَ !»

أجابَهُ فوغ : « لا يُمْكِنُنا أنْ نَتْرُكَهُمْ، فَسَيَقْتُلُهُمُ الهُنودُ، يَجِبُ أنْ أذْهَبَ وَحْدي .»

كانَ الضّابِطُ يُتابِعُ حَديثَهُما، فَعَقَّبَ قائِلاً : « إنَّكَ رَجُلٌ شُجاعٌ، يا سَيِّدي . يَجِبُ ألا تَذْهَبَ بِمُفْرَدِكَ .»

ثُمَّ اسْتَدارَ الضّابِطُ نَحْوَ جُنودِهِ قائِلاً : « إنَّني أحْتاجُ لِثَلاثينَ رَجُلاً .»

فَتَقَدَّمَ الجُنودُ جَميعًا لِلأمامِ ، فَقالَ الضّابِطُ وَهُوَ يُشيرُ إلى ثَلاثينَ مِنْهُمْ: « اِتْبَعوا هَذا الرَّجُلَ .»

قالَ فوغ: « شُكْرًا جَزيلاً .»

ثُمَّ اسْتَدار فوغ نَحْوَ فيكس قائلاً: « أرْجوكَ ، يا سَيِّدُ فيكس، أنْ تَنْتَظِرَ هُنا مَعَ أودا، وَمَعَكَ مُسَدَّسُكَ . اِهْتَمَّ بِها، وَسأعودُ سَريعًا .»

أجابَ فيكس: « كَما تَرى سَأبْقى هُنا .»

وَالحَقيقَةُ أنَّ فيكس لَمْ يَكُنْ سَعيداً بِهَذا القَرارِ، وَراوَدَتْهُ فِكْرَةُ أنْ يَلوذَ فوغ بِالفِرارِ .

اِسْتَدارَ فوغ نَحْوَ الجُنودِ وَقالَ: « إنَّنا الآنَ سَنَبْحَثُ مَعًا عَنْ هَؤُلاءِ الرِّجالِ الثَّلاثَةِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَيَكونُ هُناكَ مَبْلَغُ خَمْسَةِ آلافِ دولارٍ مِنْ أجْلِكُمْ .»

كانَتْ أودا تُراقِبُهُ وَهِيَ تُفَكِّرُ في أنَّهُ سَيَخْسَرُ الرِّهانَ مِنْ أجْلِ باسبارتو، وَرَأتْ أنَّهُ مِنَ النّادِرِ وُجودُ رَجُلٍ مِثْلِه .

سارَ فوغ مَعَ الجُنودِ وَفيكس يُتابِعُهُ بِعَيْنَيْهِ في أسًى ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ في مَقْدورِهِ أنْ يَمْنَعَهُ .

مَرَّتِ السّاعاتُ في بُطْءٍ شَديدٍ ، وَفيكس جالِسٌ يَنْتَظِرُ مَعَ أودا ، وَالجَليدُ يَتَساقَطُ مِنْ حَوْلِهِما .

وَرَأتْ أودا القاطِرَةَ تَعودُ، فَتَذَكَّرَتْ باسبارتو، وَشاهَدَت بَعْضَ

الرِّجالِ يَقومونَ بِتَثْبيتِ القاطِرَةِ في القِطارِ مَرَّةً أخْرى ؛ إذِ اسْتَعانوا بِسِلْسِلَةٍ وَضَعوها في الخُطّافِ، ثُمَّ ألْقَوْا بِبَعْضِ الأخْشابِ في النّارِ، وَفي الحالِ أصْبَحَتِ القاطِرَةُ جاهِزَةً لِلْعَمَلِ ، فَصاحَتْ أودا:

« أ لَنْ تَنْتَظِروا السَّيِّدَ فوغ ؟ لا تَرْحَلوا بِدونِهِ هُوَ وَأصْدِقائِهِ .»

رَدّوا قائِلينَ : « إنَّنا تَأخَّرْنا، وَلَنْ نَسْتَطيعَ الانْتِظارَ بَعْدَ تَجْهيزِ القاطِرَةِ .»

قالَتْ لَهُمْ: « إنَّني لَنْ آتِيَ مَعَكُمْ ، وَسَأنْتَظِرُ هُنا .»

وَقالَ فيكس: « وَأنا أيْضًا ، سَأنْتَظِرُ هُنا .»

تَعاوَنَ بَعْضُ الرِّجالِ عَلى حَمْلِ الْمُصابينَ وَ وَضْعِهِمْ في القِطارِ. وَكانَ الكولونيل ستامب بروكتور مِنْ بَيْنِ هَؤُلاءِ الْمُصابينَ . وَكانَتْ حالَتُهُ لا تَزالُ سَيِّئَةً .

صارَ القِطارُ عَلى أهْبَةِ الاسْتِعْدادِ ، ثُمَّ بَدَأتِ العَجَلاتُ في الدَّوَرانِ، وَسُرْعانَ ما ابْتَعَدَ .

حَلَّ المَساءُ وَأودا وَفيكس مُنْتَظِرانِ . وَازْدادَ الجَوُّ بُرودَةً، وَلَكِنَّ فوغ لَمْ يَعُدْ .

أشْرقَ الصَّباحُ ، وبَلَغتِ السّاعةُ السّابِعَة ولَمْ يَلْمَحا أثرًا لِلْجُنودِ. وَفَجْأةً سَمِعوا صَوْتًا وَلَمَحوا الجُنودَ على البُعْدِ .

كانَ فوغ يسيرُ في المُقدِّمَةِ وَمَعَهُ پاسپارتو وَرَجُلانِ آخَرانِ، يَتْبَعُهُمُ الجُنودُ ؛ فَشَعَرَتْ أودا بِأنّها أسْعَدُ امْرَأةٍ ؛ فَپاسپارتو لا يَزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، وَها هُوَ ذا فوغ يَعودُ مَرَّةً أخْرى .

قالَ پاسپارتو مُوضِحًا: « نَشِبَ بَيْنَنا قِتالٌ ، وَ وَقَعْنا أسْرى في أيْدي الهُنودِ ، وَلَكِنَّ سَيِّدي أتى فَنَشِبَ القِتالُ مَرَّةً ثانِيَةً ، وَها نَحْنُ أولاءِ! وَلَكِنْ أيْنَ القِطارُ ؟»

أجابَ فيكس: « لَقَدْ رَحَلَ.»

تَساءَلَ فيلياس فوغ : « وَمَتى سَيَأتي القِطارُ التّالي ؟»

« هَذا المَساءَ .»

وَلَمْ يُعَقِّبْ فوغ بِشَيْءٍ ، فَقالَ لَهُ فيكس: « وَلَكِنَّكَ قَدْ تَأخَّرْتَ الآنَ ، يا سَيِّدي . فَهَلْ تُريدُ أنْ تَصِلَ إلى نيويورك سَريعًا ؟»

« بِالطَّبْعِ أريدُ ذَلِكَ . إنَّني أريدُ أنْ أكونَ هُناكَ في الحادي عَشَرَ مِنْ ديسمبر، فَالباخِرَةُ سَتَتَحَرَّكُ في مَساءِ ذَلِكَ اليَوْمِ .»

قالَ فيكس: « لَيْسَ ثَمَّ قِطارٌ، وَلَكِنْ هُناكَ زَحّافَةٌ لِلْجَليدِ .»

صاحَ فوغ في دَهْشَةٍ : « زَحّافَةٌ ؟»

« نَعَمْ ، وَجَدْتُ واحِدَةً، فَتَعالَ لِتُشاهِدَها .»

الفَصْلُ العِشْرونَ

أخَذَهُمْ فيكس إلى مكانِ الزّحّافَةِ فوَجَدوا أنّها مُجهَّزَةٌ بِبَعْضِ الأشْرِعَةِ ، وتتَّسعُ لِحَوالى خَمْسَةِ أشْخاصٍ .

قالَ فيكس مُوضِّحًا: « مِنَ المُمْكِنِ أنْ تَدْفَعَها الرِّياحُ عَبْرَ الجليدِ . وها هُوَ ذا السَّيِّدُ مادج صاحِبُ الزّحّافَةِ .»

وقَدِ اعْتادَ النّاسُ في هَذِهِ المَناطِقِ اسْتِخْدامَ الزّحّافاتِ في الشّتاءِ ، حَيْثُ يُمْكِنُهُمُ الانْتِقالُ بِسُرْعَةٍ في أثْناءِ وُجودِ الرِّياحِ القَوِيَّةِ ، الّتي تَدْفَعُ الزّحّافاتِ لِلأمامِ .

قَبِلَ فوغ العَرْضَ ، واتَّخذوا جميعًا أماكِنَهُمْ داخِلَ الزّحّافَةِ ، وبَدأَتِ الزّحّافَةُ رِحْلَتَها ، تَدْفَعُها الرِّياحُ القَوِيَّةُ القادِمَةُ مِنَ الغَرْبِ .

جَلَسَ فيكس يُراقِبُ فوغ ويُفَكِّرُ قائلاً لِنَفْسِهِ: « ها هُوَ ذا قَدْ

عادَ مَرَّةً أخْرى ، فَهَلْ قِصَّةُ هذا الرِّهانِ حَقيقِيَّةٌ ؟»

شَعَرَ فيكس أنَّ موْقِفَ فوغ قَدْ تَغيَّرَ الآنَ ، وَلَكِنَّهُ يُريدُ أنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ في إنْجِلْترا ، لِذا كانَ يَخْشى أنْ تَتَحطَّمَ الزّحّافَةُ .

وإذا بالرِّياحِ تَهُبُّ شَديدَةً ، وأخَذَتِ الزّحّافَةُ تَتقدَّمُ لِلأمامِ ، فَشَعَرَتْ أودا بالبَرْدِ الشَّديدِ ، في حينِ راحَ الرِّجالُ في صَمْتٍ عَميقٍ . وأضافَ مادج شِراعًا جديدًا ، فَأصْبَحَتْ سُرْعَةُ الزّحّافَةِ ما يَقْرُبُ مِنْ سِتّينَ كيلومِتْرًا في السّاعَةِ .

وَفي الطَّريقِ شاهَدوا العَديدَ مِنَ الطُّيورِ البَرِّيَّةِ ، كَما لَمَحوا بَعْضَ الحَيَواناتِ الشَّديدَةِ الهُزالِ ، فَخَشِيَ پاسپارتو أنْ تَفْتَرِسَهُمْ، وَلكِنَّ الزّحّافَةَ تقَدَّمَتْ سريعًا ، تارِكَةً الحيواناتِ خَلْفَها .

وَفَجْأةً جَذَبَ مادج أحَدَ الأشْرِعَةِ وَهُوَ يَقولُ : « ها هِيَ ذي أوماها . لَقَدْ وَصَلْنا .»

وَبالفعْلِ كانَتْ هُناكَ عِدَّةُ قِطاراتٍ تَتَّجِهُ مِنْ أوماها إلى نيويورك يَوْمِيّا .

نَقَدَ فوغ مادج أجْرَهُ وَشكرَه، ثُمَّ اتَّجهوا إلى أحَدِ القِطاراتِ

الواقفةِ في المَحطَّةِ ، فَأسرَعوا بِالرُّكوبِ ، وَبَدأ القِطارُ رِحْلَتَهُ .

وَصلَ القِطارُ إلى أيْوا ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ في التَّقَدُّمِ إلى أنْ عَبَرَ نَهرَ المِسيسِيبِّي ، ثُمَّ اتَّجه إلى إلينوي .

وَصلوا إلى شيكاغو في ظُهْرِ اليَوْمِ التّالي الموافِقِ لِلْعاشِرِ مِنْ ديسِمْبر، ثُمَّ اسْتَمَرّوا في التَّقدُّمِ فَوَصَلوا إلى نيويورك في مَساءِ اليَوْمِ التّالي ، وكانَتِ السّاعةُ قَدْ تَجاوَزَتِ التّاسِعَةَ وَالنِّصْفَ، حَيْثُ تَوَقَّفَ القِطارُ في السّاعَةِ العاشِرَةِ إلا خَمْسًا وَعِشْرينَ دَقيقَةً ، وَلَمْ تَكُنِ الباخِرَةُ « الصّين » هُناكَ ، فَقَدْ رَحلَتْ في السّاعَةِ التّاسِعَةِ .

قالَ فيكس: « إذًا ، فَقَدْ فاتَتْنا .»

صَرَخَ باسپارتو: « إنَّ هذا سَيَقْضي عَلَيَّ ! نِصْفُ ساعَةِ تَأخيرٍ، مُجَرَّدُ نِصْفِ ساعَةٍ فَقَطْ .»

تَوَجَّهوا جَميعًا إلى أحَدِ الفَنادِقِ ، حَيْثُ اسْتَغْرَقَ فوغ في نَوْمٍ عَميقٍ ، أمّا فيكس فَنامَ نَوْمًا مُتَقَطِّعًا .

كانَ اليَوْمُ التّالي هُوَ الثّاني عَشَرَ مِنْ ديسِمْبر. وَأخَذَ فوغ

يُفكِّرُ في ضَرورَةِ الإسْراعِ إلى إنْجِلْترا ؛ إذْ يَجِبُ أنْ يَكونَ هُناكَ في الحادي وَالعِشْرينَ مِنْ ديسمبر ، وَلَمْ يَتَبَقَّ عَلى هَذا المَوْعِدِ سِوى تِسْعَةِ أيّامٍ فَقَطْ .

هَبَطَ فوغ إلى شاطئِ النَّهرِ ، وَأخَذَ يُراقِبُ السُّفُنَ ، فَوَجَدَ بَعْضَ السُّفُنِ الشِّراعِيَّةِ الصَّغيرَةِ ، وَالرِّياحُ تَدْفَعُها لِلأمامِ ، ثُمَّ رَأى سَفينَةً أكْبَرَ حَجْمًا ، فاسْتَقَلَّ أحَدَ القَوارِبِ وَتَوَجَّهَ إلَيْها .

كانَ اسْمُ هذهِ السَّفينَةِ هنريتا ، وَكانَ قائِدُها في حَوالَى الخَمْسينَ مِنْ عُمْرِهِ ، فَقالَ لَهُ فوغ : « إنَّني فيلياس فوغ مِنْ لندن . »

قالَ الرُّبّانُ : « وَأنا أندرو سبيدي .»

« هَلْ أنْتَ مُسْتَعِدٌّ لِلرَّحيلِ ؟»

أجابَ سبيدي : « خِلالَ ساعَةٍ .»

سَألَهُ فوغ : « وَما وُجْهَتُكَ ؟»

« إلى بوردو. وَلَكِنَّنا لا نَحْمِلُ أفْرادًا بَلْ نَحْمِلُ أحْجارًا فَقَطْ .»

« هَلْ تَأخُذُني إلى ليڤربول ؟»

صَرَخَ سبيدي : « إلى ليڤربول ! وَلِماذا لا يكونُ إلى الصّينِ ؟!»

« لَقَدْ قُلْتُ إلى ليڤربول .»

« إنّني لَسْتُ مُتَّجِهاً إلى ليڤربول ، وَلَكِنْ إلى بوردو .»

قالَ فوغ : « إنّني أعْرِضُ عَلَيْكَ مَبْلَغاً كَبيراً مِنَ المالِ .»

رَدَّ سبيدي : « المالُ لا يَعْنيني .»

« وَمَنْ يَمْلِكُ « هنريتا » ؟»

أجابَ سبيدي : « أنا .»

« سأشتري السَّفينَةَ مِنْكَ .»

« وأنا لَنْ أبيعَها .»

« هَلْ تَأخُذُني إلى بوردو ؟»

« لا ، لَنْ أفْعَلَ ذَلِكَ وَلَوْ في مُقابِلِ مِئَتَيْ دولارٍ .»

« إنّني أعْرِضُ عَلَيْكَ ألْفَيْ دولار .»

سَألَ سبيدي : « لِكُلِّ شَخْصٍ ؟»

« نَعَمْ ، لِكُلِّ شَخْصٍ ، وَنَحْنُ أرْبَعَةُ أشْخاصٍ .»

« ثَمانِيَةُ آلافِ دولارٍ ؟»

أكَّدَ فوغ قائِلاً: « ثَمانِيَةُ آلافِ دولارٍ .»

وَلَمْ يَكُنْ سبيدي يَرْغَبُ في وُجودِ أيِّ شَخْصٍ عَلى ظَهْرِ سَفينَتِهِ ، وَلَكِنَّ ثَمانِيَةَ آلافِ دولارٍ تُعَدُّ مَبْلَغاً كَبيراً .

قالَ سبيدي : « سَفينَتي سَتُبْحِرُ في السّاعَةِ التّاسِعَةِ .»

أجابَ فوغ : « سَنَكونُ هُنا .»

أسْرَعَ فوغ بِالعَوْدَةِ إلى الفُنْدُقِ، ثُمَّ اصْطَحَبَ رِفاقَهُ الثَّلاثَةَ إلى السَّفينَةِ « هنريتا » .

عَلِمَ باسبارتو بِأمْرِ المَبْلَغِ ، فَكادَ هَذا يَقْضي عَلَيْهِ .

أمّا فيكس فَكادَ هُوَ الآخَرُ يَموتُ كَمَداً ، وَهُوَ يَرى النُّقودَ

تَتَبَخَّرُ بِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ ، وَأَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائلاً :

« النُّقودُ ، النُّقودُ ، النُّقودُ ! ها هِيَ ذي النُّقودُ تَتَبَخَّرُ، وَها هُوَ ذا الرَّجُلُ دائِمُ الإنْفاقِ مِنْها، وَقَريباً لَنْ يَتَبَقّى مِنْها شَيْءٌ ، وَرُبَّما يُلْقي بِجُزْءٍ كَبيرٍ مِنْها في البَحْرِ أَيْضاً ! وَلِمَ لا يَفْعَلُ ذَلِكَ ؟»

الفَصْلُ الحادي والعِشْرونَ

بَدَأَتِ السَّفينَةُ هنريتا رِحْلَتَها الطَّويلَةَ إلى الشَّرْقِ . وَكانَ اليَوْمُ التّالي يُوافِقُ الثّالِثَ عَشَرَ مِنْ ديسِمْبر .

كانَ ثَمَّ رَجُلٌ يَقِفُ عَلى مِنَصَّةِ الرُّبّانِ ، وَالرِّجالُ الَّذين يَقِفونَ عَلى هَذِهِ المِنَصَّةِ وَيُلْقونَ الأوامِرَ ، عادَةً ما يَكونونَ مِنَ الضُّبّاطِ ، وَلَكِنَّ هَذا الرَّجُلَ لَمْ يَكُن سبيدي ؛ لأنَّ سبيدي كانَ يَصيحُ داخِلَ قَمْرَتِه .

كانَ فيلياس فوغ هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، أَمّا سبيدي فَكانَ يُحاوِلُ أَنْ يَفْتَحَ قَمْرَتَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ ، وَكُلُّ ما اسْتَطاعَ أَنْ يَفْعَلَهُ هُوَ الصِّياحُ فَقَطْ ، بَعْدَ أَنْ تَمَلَّكَهُ الغَضَبُ الجامِحُ ؛ إذْ وَجَدَ نَفْسَهُ سَجيناً داخِلَ قَمْرَتِه .

وَلَكِنْ تُرى ما السَّبَبُ في ذَلِكَ التَّصَرُّفِ الغَريبِ ؟

كانَ فيلياس فوغ يُريدُ الذَّهابَ إلى ليڤربول ، وَلَكِنَّ سبيدي يُريدُ أنْ يَتَوَجَّهَ إلى بوردو ، لِذا مَنَحَ فوغ البَحّارَةَ بَعْضَ النُّقودِ ، وأصبَحَ مَسْئولاً الآنَ عَنِ السَّفينَةِ . وَقامَ البَحّارَةُ بِتَوْجيهِ السَّفينَةِ طِبْقًا لأوامِرِهِ ، في حينَ وَقَفَ هُوَ في هُدوءٍ على المَنَصَّةِ.

أصْبَحَ پاسپارتو صَديقًا لِمُعْظَمِ البَحّارَةِ ، إلا أنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُطْمَئِنًا لِمَوْقِفِ فيكس ، وَلَمْ يَتَحَدَّثْ مَعَهُ ، بَلْ ظَلَّ يُراقِبُهُ بِاسْتِمْرارٍ.

وَفي أحَدِ الأيامِ هَبَّتْ عاصِفَةٌ ، إلا أنَّها لَمْ تَكُنْ بالِغَةَ الشِّدَّةِ ، وَلَكِنْ حَدَثَ في اليَوْمِ السّادِسَ عَشَرَ مِنْ ديسِمبر أنْ صَعِدَ مُهَنْدِسُ السَّفينَةِ ، وَتَحَدَّثَ مَعَ فوغ حَوْلَ وَقودِ الباخِرَةِ ، قائِلاً لَهُ:

« لَمْ يَعُدْ لَدَيْنا ما يَكْفي مِنَ الفَحْمِ لِلْوَقودِ ، وَلَنْ تَلْبَثَ النِّيرانُ أنْ تَخْمُدَ .»

شَغَلَ هَذا الأمْرُ تَفْكيرَ فوغ . وَفي المَساءِ اسْتَدْعى المُهَنْدِسَ إلى المَنَصَّةِ ، وَقالَ لَهُ:

« احْتَفِظْ بِنيرانِكَ على أشُدِّها، وَلا تَقْتَصِدْ في الفَحْمِ ، وَلا توقِفِ الماكينات .»

نَفَّذَ المُهَنْدِسُ ما طُلِبَ مِنْهُ . وَلَكِنَّهُ في اليَوْمِ الثّامِنَ عَشَرَ مِنْ ديسِمبر جاءَ إلى فوغ ، وَقالَ لَهُ: « لَقَدْ نَفِدَ الفَحْمُ ، يا سَيِّدُ فوغ. لَقَدِ اسْتَهْلَكْناهُ بِالكامِلِ .»

اِسْتَدْعى فوغ پاسپارتو ، وَأمَرَهُ أنْ يُحْضِرَ إلَيْهِ سبيدي ، وَانْصاعَ پاسپارتو لِهَذا الأمْرِ على مَضَضٍ ؛ إذْ كانَ يَخْشى سبيدي ، الَّذي لا يَزالُ يَصيحُ في قَمْرَتِهِ ، وَلَكِنَّ پاسپارتو فَتَحَ البابَ وَأحْضَرَ الرَّجُلَ إلى فوغ . وَما إنْ وَصَلَ سبيدي إلى مِنَصَّةِ الرُّبّانِ حَتّى أخَذَ يَصْرُخُ وَهُوَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ بَحْثًا عَنِ البَحّارَةِ ، قائِلاً في غَضَبٍ:

« أيْنَ نَحْنُ الآنَ ؟»

ثُمَّ تَطَلَّعَ نَحْوَ البَحْرِ غاضِبًا ، وَصاحَ مَرَّةً أخْرى : « أيْنَ نَحْنُ ؟»

أجابَهُ بِصَوْتٍ هادِئٍ: « إنَّنا على بُعْدِ ١٢٠٠ كيلومِترٍ مِنْ ليڤربول، وَأريدُ أنْ أشْتَرِيَ سَفينَتَكَ .»

« تَشْتَري سَفينَتي ؟ لا بِالتَّأكيدِ . وَلِماذا تُريدُها ؟»

« أريدُ أنْ أحْرِقَها .»

صاحَ سبيدي : « تُحْرِقُها ؟»

« نعَمْ ، فلَمْ يَعُدْ لَدَيْنا وَقودٌ؛ لأنَّنا استَهْلَكْنا كُلَّ الفحْمِ ، وَعلَيْنا أنْ نُحْرِقَ بَعْضَ الأخْشابِ ، وَإنَّني أريدُ أنْ أحرِقَ الأجْزاءَ العُلْوِيَّةَ فَقَطْ .»

ألْجَمَ الانْفِعالُ لِسانَ سبيدي ، أمّا فوغ فَقَدْ ظَلَّ هادِئاً يَنْتَظِرُ إجابَتَهُ .

قالَ سبيدي بَعْدَ أنْ تَمالَكَ نَفْسَهُ: « هَذِهِ السَّفينَةُ تَكَلَّفَتْ ٥٠ ألْفَ دولارٍ ، وَأنْتَ تُريدُ الآنَ أنْ تُحْرِقَها !»

أجابَ فوغ في هُدوءٍ: « هاكَ مَبْلَغَ ٦٠ ألْفَ دولارٍ .»

بَدَأ سبيدي يُعيدُ النَّظَرَ في هَذا العَرْضِ ، شَأْنُهُ في ذَلِكَ شَأْنُ كلِّ أمْريكِيٍّ يُحِبُّ النُّقودَ . فَإنَّ ٦٠ ألْفَ دولارٍ تُعْتَبَرُ مَبْلَغاً كَبيراً بِالنِّسْبَةِ لِسَفينَتِهِ القَديمَةِ، فَقالَ لِفوغ :

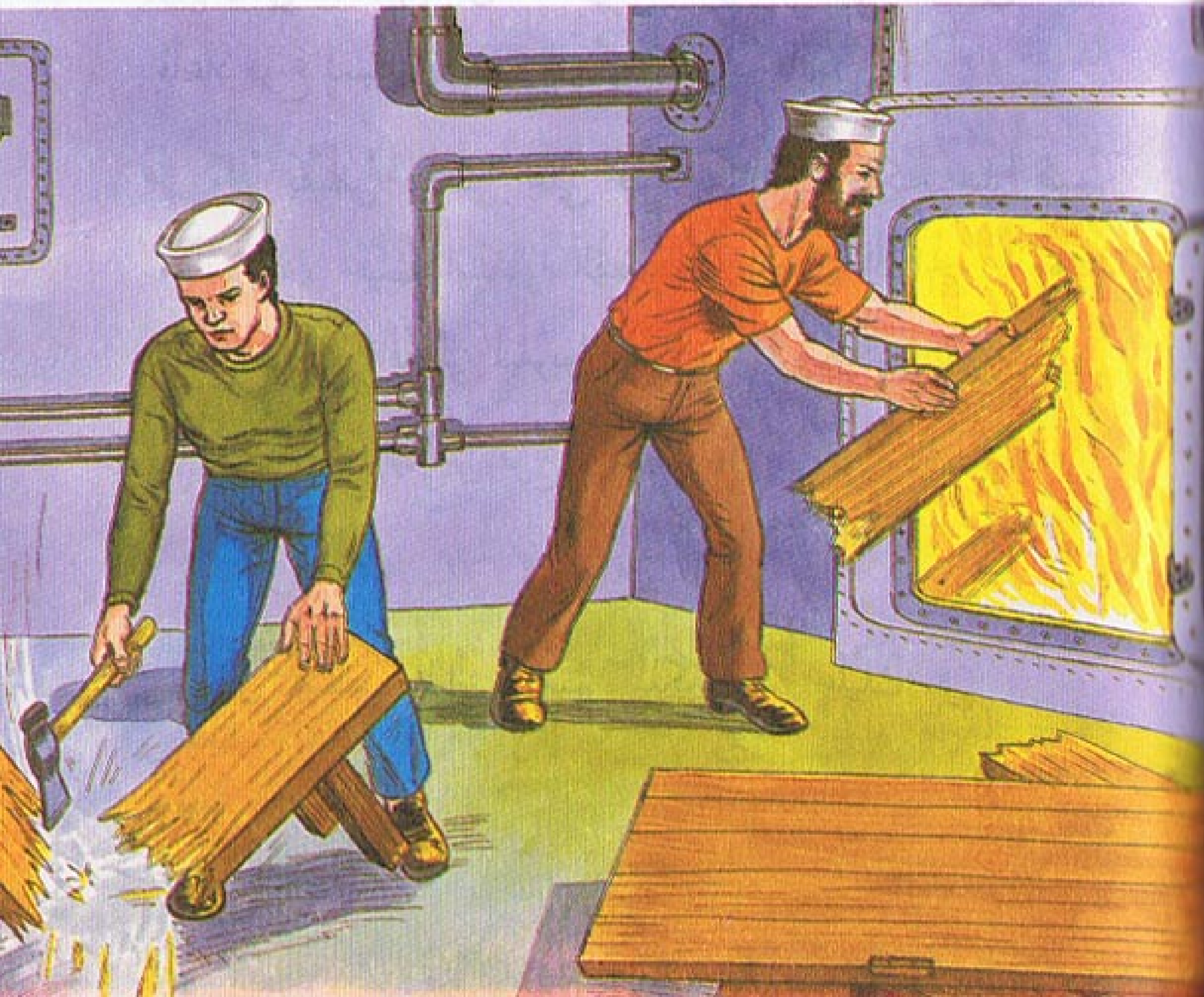
« سَأبيعُ الأجْزاءَ العُلْوِيَّةَ فَقَطْ مُقابِلَ ٦٠ ألفَ دولارٍ .»

أجابَ فوغ : « حَسَنٌ، ها هِيَ ذي النُّقودُ .»

ناوَلَ فوغ المَبْلَغَ لِسبيدي في الحالِ، فَشَحَبَ وَجْهُ پاسپارتو، أمّا فيكس فَشَعَرَ بِالغَثَيانِ وَهُوَ يَرى فوغ قَدْ أنْفَقَ ما يَقْرُبُ مِنْ

٢٠ ألْفَ جُنَيْه مُقابِلَ أنْ يَشْتَرِيَ جُزْءاً فَقَطْ مِنَ السَّفينَةِ . وَلَكِنَّهُ اعْتَبَرَ هَذا تَصَرُّفاً طَبيعِيّاً بِالنِّسْبَةِ لِلِصٍّ اسْتَوْلى على ٥٥ ألْفَ جُنَيْهٍ . لِذا فَإنَّ ٢٠ ألْفَ جُنَيْهٍ لَنْ تُمَثِّلَ أهَمِّيَّةً بِالنِّسْبَةِ لَهُ .

غَدا فوغ الآنَ مالِكاً للسَّفينَةِ ، وَأخَذَ يُفكِّرُ – وَهُوَ لا يَزالُ واقِفاً على مِنَصَّةِ الرُّبّانِ – في مُشْكِلَةِ نَفادِ كَمِّيَّةِ الفَحْمِ ، وَأنَّ عَلَيْهِمْ أنْ يَسْتَخْدِموا الأخْشابَ ، حَيْثُ يُمْكِنُهُمْ تَحْطيمُ الكَبائِنِ وَتَسْليمُ أخْشابِها إلى المُهَنْدِسِ ؛ لِيُغَذِّيَ بِها النّيرانَ .



اقْتلَعَ البَحّارَةُ الكَبائِنَ وَالأسِرَّةَ ، وَحطَّموا المَقاعِدَ وَالمَناضِدَ ، وَخزائِنَ الْملابِسِ وَالرُّفوفَ وَنَزعوا حَوائِطَ الغُرَفِ ، بَلْ إنَّهُمْ نَزعوا أخْشابَ الأرْضِيّاتِ أيْضاً، ثُمَّ ألْقَوْا بِكُلِّ تِلْكَ الأخْشابِ في قَلْبِ النّيرانِ ؛ فَاشْتَعَلَتْ وَتَأجَّجَتْ ، وَدارَتِ الماكيناتُ ، فَتَقَدَّمَتِ السَّفينَةُ لِلأمامِ ، وَأخَذَتْ تَشُقُّ عُبابَ البَحْرِ .

وَفي إحْدى اللَّيالي وَصَلوا إلى إيرلَنْدا، وَمِنْها أبْحَرَتِ السَّفينَةُ « هنريتّا » إلى كُوينز تاون ، فَوَصَلَتْ إلَيْها في الصَّباحِ الباكِرِ . وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ مِنْ « هنريتّا » سِوى نِصفِها السُّفْلِيِّ تَقْريباً، فَأعادَ فوغ لِسبيدي ما بَقِيَ مِنْها ثُمَّ غادَرَها .

وَلَمْ يَقْبِضْ فيكس على فوغ هُناكَ ، وَلَكِنَّهُ سارَ ضِمْنَ مَجْموعَتِهِ، حَيْثُ اسْتَقَلّوا القِطارَ ثُمَّ إحْدى البَواخِرِ . وَهَكَذا وَصَلَ فوغ وَرِفاقُهُ إلى ليڤربول ، وَفيها بادَرَهُ فيكس بِقَوْلِهِ:

« هَلْ أنْتَ فيلياس فوغ بِالفِعْلِ ؟»

« هُوَ أنا .»

قالَ فيكس: « إنّني بِاسْمِ المَلِكَةِ أقْبِضُ عَلَيْكَ .»

الفَصْلُ الثاني والعِشْرونَ

اسْتَبْقَتِ الشُّرْطَةُ فيلياس فوغ في ليڤربول ، فَدُهِشَتْ أودا دَهْشَةً بالِغَةً ، وَلَكِنَّ پاسپارتو أوْضَحَ لَها الأمْرَ، وَأخْبَرَها عَنْ قِصَّةِ السَّرِقَةِ ، وَلَكِنَّها صَرَخَتْ مُسْتَنْكِرَةً وَهِيَ تَقولُ :

« السَّيِّدُ فوغ لِصٌّ ؟! إنَّ هَذا لا يَمُتُّ لِلْحَقيقَةِ بِأيَّةِ صِلَةٍ . إنَّهُ رَجُلٌ شُجاعٌ وَعَطوفٌ ، وَلا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ لِصّاً .»

كانَ أمْراً سَيِّئاً أنْ يَتِمَّ القَبْضُ على فوغ ، حَيْثُ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الوُصولِ إلى نادي « ريفورم » . جَلَسَ فوغ كَسيفاً وَهُوَ يُفَكِّرُ في رِهانِهِ إلا أنَّهُ لَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ ، بَلِ اكْتَفى بِأنْ وَضَعَ ساعَتَهُ على المِنْضَدَةِ وَظَلَّ يَنْتَظِرُ . وَفَجْأةً سَمِعَ أصْواتاً خارِجَ الغُرْفَةِ ، ثُمَّ انْدَفَعَ رَجُلانِ إلى الغُرْفَةِ ، كانَ فيكس

أحَدَهُما . صاحَ فيكس قائِلاً :

« سَيِّدي ، إنّني ارْتَكَبْتُ خطأً جَسيماً ! إنَّكَ لَسْتَ اللِّصَّ ، فَقَدْ أمْسكَ بِهِ رِجالُ الشُّرْطَةِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أيّام ، وَأنْتَ الآنَ مُطْلَقُ السَّراحِ . »

وَفي هُدوءٍ اتَّجَهَ فوغ نَحْوَ المُخْبِرِ، ثُمَّ سَدَّدَ لَكْمَةً إلى وَجْهِهِ سَقَطَ عَلى إثْرِها أرْضاً ، فَصاحَ پاسپارتو مِنْ شِدَّةِ السُّرورِ وَهُوَ يَقولُ: « تَسْديدَةٌ جَيِّدَةٌ ، يا سَيِّدي ! تَسْديدَةٌ جَيِّدَةٌ !»

اسْتَقَلَّ فوغ إحْدى المَرْكَباتِ ، وَاصْطَحَبَ مَعَهُ رِفاقَهُ ، حَيْثُ اتَّجَهوا جَميعاً إلى المَحَطَّةِ ، وَهُناكَ سَأَلَ: « مَتى يَتَحَرَّكُ القِطارُ التّالي إلى لندن .»

قيلَ لَهُ: « هَذا المَساءَ .»

وَلَمْ يَكُنْ هَذا المَوْعِدُ يُناسِبُ فوغ ، فَطَلَبَ قِطاراً خاصّاً يَسْتَقِلُّهُ هُوَ وَأودا وَخادِمُهُ . وَلَكِنَّ هَذا القِطارَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطيعُ الرَّحيلَ قَبْلَ السّاعَةِ الثّالِثَةِ ، فَوَصَلَ إلى لَنْدَن السّاعَةَ التّاسِعَةَ إلا عَشْرَ دَقائِقَ . وَكانَ فوغ مُتَأخِّراً عَنْ مَوْعِدِهِ عَشْرَ دَقائِقَ ،

فَاعْتَقَدَ پاسپارتو في أسىً أنَّ سَيِّدَهُ قَدْ خَسِرَ الرِّهانَ .

اِسْتَقَلَّ فوغ إحْدى المَرْكَباتِ ، وَتَوَجَّهَ إلى مَنْزِلِهِ وَهُوَ يُفَكِّرُ في أنَّهُ قَدْ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَهُوَ لا يَمْلِكُ سِوى ٢٠ ألْفَ جُنَيْهٍ في البَنْكِ، وَالَّتي أصْبَحَتْ بِدَوْرِها مِنْ حَقِّ أصْدِقائِهِ الخَمْسَةِ مُقابِلَ قَسيمَةِ الرِّهانِ .

وَأخَذَ فوغ يَتَذَكَّرُ أنَّهُ أنْفَقَ الكَثيرَ خِلالَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ ، وَتَذَكَّرَ الزَّحّافَةَ وَالباخِرَةَ وَالمُهَنْدِسَ وَالفَحْمَ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ القِطارَ الخاصَّ . وَشَعَرَ فوغ بِالحُزْنِ الشَّديدِ ، ثُمَّ فَكَّرَ في أودا وَما يُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ لَها .

أمّا أودا فَكانَتْ في شِدَّةِ الأسى هِيَ أيْضاً ، وَأقْلَقَتْها نَظَراتُهُ، فَجَلَسَتْ تُراقِبُهُ وَهِيَ تُفَكِّرُ في أنَّهُ قَدْ يَزْهَدُ في الحَياةِ إذا وَجَدَ نَفْسَهُ مُعْدِماً . وَكَذَلِكَ كانَ پاسپارتو يُراقِبُ سَيِّدَهُ . وَكانَ پاسپارتو قَدْ تَوَجَّهَ إلى حُجْرَتِهِ وَأغْلَقَ الغازَ ، ثُمَّ عادَ وَقالَ لأودا :

« لا أمْلِكُ أنْ أفْعَلَ شَيْئاً لِسَيِّدي ، وَرُبَّما يُمْكِنُكِ أنْتِ مُساعَدَتُهُ. هَلْ لاحَظْتِ وَجْهَهُ ؟ إنَّهُ في قِمَّةِ الحُزْنِ مِنْ أجْلِ

الرِّهانِ، فَهلْ يُمْكِنُكِ أنْ تُشْعِريه بِشَيْءٍ مِنَ السَّعادَةِ ؟»

تَساءَلَتْ أودا: « وماذا يُمْكِنُني أنْ أفْعَل ؟»

« تحدَّثي معَه، فَهُوَ يريدُ أنْ يلْقاكِ هذا المساء .»

وَلَمْ تَنْطِقْ أودا ؛ إذْ كانَت مُسْتَغْرِقَةً في تَفْكيرٍ عميق .

وَلَمْ يَذْهَبْ فيلياس فوغ إلى النّادي ، وَظَلَّ يُفكِّرُ في أنَّ اليَوْمَ هُوَ الثّاني والعشْرونَ مِنْ ديسمْبر، وَلا بُدَّ أنَّ أصْدِقاءَهُ في انْتظارِهِ الآنَ .

وَأخَذَ باسبارتو المِسْكينُ يَجوسُ في أنْحاءِ المَنْزِلِ وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الحُزْنُ ، وَشَعَرَ أنَّ الوقْتَ يَمرُّ في بُطْءٍ شَديدٍ .

وَفي السّاعَةِ السّابِعَةِ وَالنِّصْفِ جاءَ فوغ لِرُؤْيَةِ أودا، وَبادَرَها بِقَوْلِهِ :

« لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ اليَوْمِ رَجُلاً ثَرِيًا ، وَأنا الآنَ فَقيرٌ . وَقَدْ أتَيْتُ بِكِ إلى إنْجِلْترا ، وَكُنْتُ أتطَلَّعُ إلى تَوْفيرِ حَياةٍ سَعيدَةٍ لَكِ، وَلكنَّني الآنَ لا أمْلكُ شيئًا ، فأرْجوكِ ألا تُسيئي الظَّنَّ بي .»

قالَتْ أودا في هُدوءٍ: « إنَّكَ أنْقَذْتَ حَياتي ، فَكَيْفَ أسيءُ الظَّنَّ بِكَ ؟»

قالَ لَها: « إنَّ الدُّنْيا قَدْ أدارَتْ لي ظَهْرَها الآنَ ، وَلكِنَّني أريدُ أنْ أمْنَحَكِ بَعْضَ النُّقودِ . وَهَذا مَبْلَغٌ زَهيدٌ ؛ لأنَّني لا أمْلِكُ الكَثيرَ. أرْجوكِ أنْ تَقْبَليه .»

قالَتْ لَهُ: « وَلكِنْ ماذا سَيَحْدُثُ لَكَ ؟»

أجابَها في أسًى : « لَسْتُ في حاجَةٍ لِلنُّقودِ .»

صاحَتْ قائِلَةً: « وَلكِنَّ أصْدِقاءَكَ سَيُساعِدونَكَ .»

قالَ: « لَيْسَ لي أصْدِقاءُ .»

قالَتْ وَهِيَ تَنْهَضُ : « لَدَيْكَ واحِدٌ .»

فَنَهَضَ فوغ أيْضاً ، وَقَدْ أذْهَلَتْهُ هذِهِ المَرْأةُ كَثيراً، وَأغْلَقَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ فَتَحَهُما مَرَّةً أخْرى ، وَقالَ لَها: « إنَّني أحِبُّكِ كَثيراً .»

بَدَتِ السَّعادَةُ الغامِرَةُ عَلى وَجْهِ أودا ، وَ وَضَعَتْ يَدَها عَلى قَلْبِها ، وَلكِنَّها لَمْ تَنْبِسْ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ ، فَأخَذَ فوغ يَدَها وَنادى

پاسپارتو ، وَقالَ لَهُ:

« اذْهَبْ إلى السَّيِّدِ وِيلْسُون ، يا پاسپارتو، وَاطْلُبْ مِنْهُ أنْ يَأتِيَ لِيَعْقِدَ قِرانَنا غَداً ؛ فَإنَّني نَوَيْتُ الزَّواجَ بِأودا، وَهِيَ قَدْ قَبِلَتِ أنْ تَتَزَوَّجَني .»

قالَتْ أودا في سَعادَةٍ: « أجَلْ، غداً الإثْنَيْنِ .»

الفَصْلُ الثّالِثُ وَالعِشْرونَ

تَمَكَّنَ رِجالُ الشُّرطَةِ الإنْجليزُ مِنَ القَبْضِ عَلى لِصِّ البَنْكِ ، وَكانَ يُدْعى جيمس ستراند ، وَتَمَّ ذَلِكَ في السّابِعَ عَشَرَ مِنْ ديسِمْبر، حَيْثُ عَلِمَ البوليسُ أنَّ فوغ لَمْ يَكُنِ اللِّصَّ المَطْلوبَ ، وَلَمْ يَتَمَكَّنوا مِنْ إخْطارِ فيكس في ذَلِكَ الوَقْتِ ؛ لأنَّهُ كانَ طَوالَ الوَقْتِ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكانٍ لآخَرَ .

أمّا أصْدِقاءُ فوغ الخَمْسَةُ فَكانوا في انْتِظارِهِ ، في يَوْمِ السَّبْتِ المُحَدَّدِ المُوافِقِ لِلْحادي وَالعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ ديسِمْبر .

وَكانَ هُناكَ أيْضاً جَمْعٌ غَفيرٌ في انْتِظارِ فوغ بِالقُرْبِ مِنَ النّادي .

أمّا أصْدِقاؤُهُ الخَمْسَةُ فانْتَظَروهُ داخِلَ النّادي .

كانَتِ السّاعَةُ تُشيرُ إلى الثّامِنَةِ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرين دَقيقَةً ، فَنَظَرَ أندرو ستيوارت إلى السّاعَةِ قائلاً : « لَمْ يَبْقَ سِوى عِشْرينَ دَقيقَةً فَقَطْ . »

تَساءَلَ فلاناجان :

« وَمَتى يَصِلُ آخِرُ قِطارٍ مِنْ ليفربول ؟ »

أجابَهُ رالف :

« في السّاعَةِ السّابِعَةِ وَثَلاثٍ وَعِشْرينَ دَقيقَةً . وَالقِطارُ التّالي يَصِلُ في السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ وَعَشْرِ دَقائِقَ ، أيْ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . »

قالَ ستيوارت :

« لَقَدْ خَسِرَ فوغ الرِّهانَ ، حَيْثُ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ في القِطارِ الّذي وَصَلَ مُنْذُ ساعَةٍ ، كَما أنَّهُ لَيْسَ مَوْجوداً . إنَّهُ لَيْسَ في لَنْدَن . »

قالَ ڤالينتين :

« رُبَّما يَكونُ مُنْتَظِراً اللَّحْظَةَ نَفْسَها ، فَأَنْتُمْ تَعْرِفونَ فوغ جَيِّداً ،

وَرُبَّما يَأْتي في السّاعَةِ التّاسِعَةِ إلا الرُّبْعَ . »

« وَلَكِنَّ الباخِرَةَ « الصّين » وَصَلَتْ أَمْسِ مِنْ نيويورك ، وَفيلياس فوغ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْنِ رُكّابِها . إنَّهُ لَمْ يَصِلْ ، كَما أنَّ الباخِرَةَ التّالِيَةَ سَتَصِلُ مُتَأَخِّرَةً جِدًّا . »

ثُمَّ أشارَتِ السّاعَةُ إلى التّاسِعَةِ إلا عِشْرينَ دَقيقَةً . »

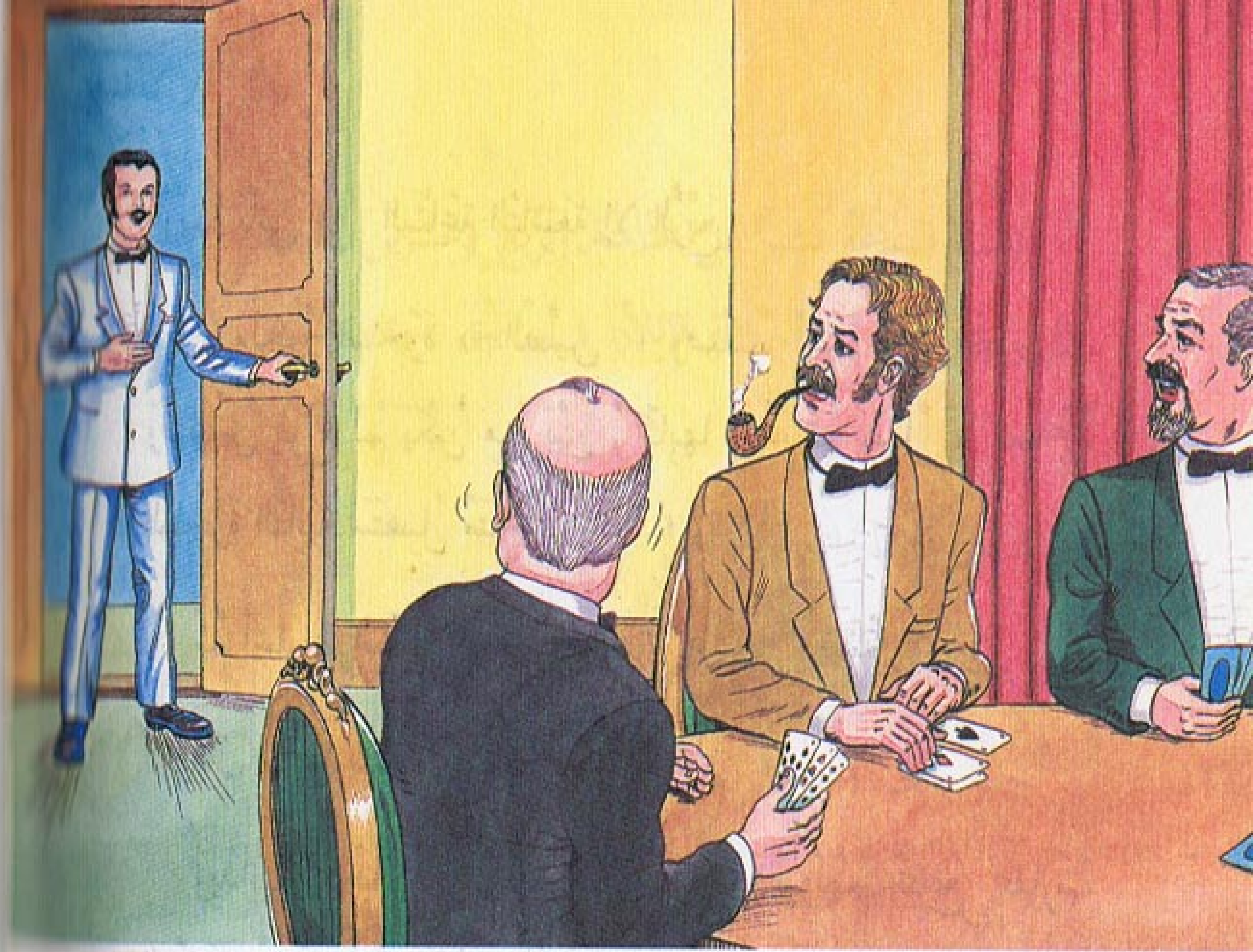
قالَ ستيوارت : « بَقِيَتْ خَمْسُ دَقائِقَ . »

وَبَدَأَتِ المَجْموعَةُ تَلْعَبُ الوَرَقَ ، وَعُيونُهُمْ تُتابِعُ عَقارِبَ السّاعَةِ ، وَهِيَ تَتَحَرَّكُ في بُطْءٍ شَديدٍ .

قالَ فلاناجان :

« السّاعَةُ الآنَ التّاسِعَةُ إلا سَبْعَ عَشْرَةَ دَقيقَةً ، وَلَمْ يَبْقَ سِوى دَقيقَتَيْنِ . »

وَإذا بِهِمْ يَسْمَعونَ أَصْواتاً بِالخارِجِ ، وَتَعالَتِ الجَلَبَةُ ، فَتَوَقَّفوا عَنْ اللَّعِبِ ، وَشَخَصَتْ أَبْصارُهُمْ بِالبابِ الّذي انْفَتَحَ ، وَظَهَرَ فيلياس فوغ وَمِنْ حَوْلِهِ جَمْعٌ غَفيرٌ .



قالَ فيلياس فوغ في هُدوءٍ: « أيُّها السّادَةُ ، إنَّني هُنا .»

الفَصْلُ الرّابِعُ والعِشْرونَ

نَعَمْ ، كانَ فيلياس فوغ ! فَكَيْفَ وَصَلَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ؟

حَدَثَ أنْ أرْسَلَ فوغ پاسپارتو، في السّاعَةِ الثّامِنَةِ وَخَمْسِ دَقائِقَ، إلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ وِيلْسُون ، لِيُخْبِرَهُ أنَّ فوغ يُريدُ أنْ يَتَزَوَّجَ بِأودا، وَلَكِنَّ السَّيِّدَ وِيلْسُون لَمْ يَكُنْ بِالمَنْزِلِ ، فانْتَظَرَهُ پاسپارتو .

وَفي السّاعَةِ التّاسِعَةِ إلا خَمْساً وَعِشْرينَ دَقيقَةً ، غادَرَ پاسپارتو مَنْزِلَ السَّيِّدِ وِيلْسُون وَهُوَ في عَجَلَةٍ مِنْ أمْرِهِ، وَأخَذَ يَعْدو وَشَعْرُهُ أشْعَثُ ، وَدونَ أنْ يَرْتَدِيَ قُبَّعَتَهُ ، فَوَصَلَ إلى مَنْزِلِ فوغ خِلالَ ثَلاثِ دَقائِقَ فَقَطْ ، وَلاحَظَ فوغ مَلابِسَ خادِمِهِ و وَجْهَهُ ؛ فَقالَ لَهُ:

« ماذا حَدَثَ ؟»

صَرَخَ پاسپارتو:

« سَيِّدي ، سَيِّدي ، لا يُمْكِنُكَ أنْ تَتَزَوَّجَ غَداً. غَيْرُ مُمْكِنٍ ، يا سَيِّدي .»

« لِماذا تَقولُ ذَلِكَ ؟»

« غَداً هُوَ الأحَدُ ، يا سَيِّدي .»

قالَ فوغ : « غَداً هُوَ الإثْنَينِ .»

« لا يا سَيِّدي لا ، اليَوْمَ هُوَ السَّبْتُ .»

قالَ فوغ: « لا ، لا .»

صاحَ پاسپارتو مُؤَكِّداً:

« نَعَمْ، نَعَمْ، نَعَمْ، إنَّكَ أخْطَأتَ في يَوْمٍ واحِدٍ . إنَّنا وَصَلْنا مُبَكِّرين يَوْماً واحِداً ، لَكِنَّنا الآنَ لا نَمْلِكُ إلا عَشْرَ دَقائِقَ .»

وَجَذَبَ پاسپارتو سَيِّدَهُ نَحْوَ الطَّريقِ ، وَقَفَزا مَعاً داخِلَ إحْدى

المَرْكَباتِ ، حَيْثُ صاحَ فوغ :

« إلى نادي ‹‹ ريفورم ›› ، وَبِسُرْعَةٍ . وَها هِيَ ذي مِئَةُ جُنَيْهٍ مِنْ أجْلِكَ، فَقَطْ أسْرِعْ في السَّيْرِ .»

وَكانَتْ جِيادُ المَرْكَبَةِ عَلى اسْتِعْدادٍ ، فَأسْرَعَتْ خِلالَ الطُّرُقاتِ ، وَتَخَطَّتْ خَمسَ مَرْكَباتٍ ؛ فَلاحَقَتْها مَجْموعَةٌ مِنَ الأصْواتِ الغاضِبَةِ ، وَطَرَقَتْ آذانَهُمْ صَيْحاتٌ مِنَ اليَمينِ وَمِنَ اليَسارِ ، وَلَكِنَّ فوغ أخَذَ يَصيحُ في السّائِقِ قائِلاً :

« تَقَدَّمْ ، أسْرِعْ .»

وَما إنْ وَصَلوا إلى النّادي حَتّى قَفَزَ فوغ خارِجَ المَرْكَبَةِ وَأسْرَعَ بِالدُّخولِ إلى النّادي ، وَفَتَحَ البابَ ثُمَّ نَظَرَ إلى السّاعَةِ .

وَكانَتِ السّاعَةُ تُشيرُ إلى التّاسِعَةِ إلا الرُّبْعَ تَماماً .

وَكانَ أصْدِقاؤُهُ الخَمْسَةُ يَقِفونَ هُناكَ فاغِري الأفْواهِ، فَصاحَ أحَدُهُمْ قائِلاً:

« فوغ ! إنَّهُ أنْتَ !»

وَعِنْدَئِذٍ تَأكَّدَ فوغ مِنْ أنَّهُ لَمْ يَخْسَرِ الرِّهانَ ، وَأنَّهُ لَن يَغْدُوَ مُعْدِماً.

وَلكِنْ كَيْفَ ارْتَكَبَ هذا الرَّجُلُ المُنْضَبِطُ مِثْلَ هذا الخَطَأ ؟

لَقَدْ وَصَلَ في يَوْمِ الجُمُعَةِ ، أيْ أنَّهُ وَصَلَ مُبَكِّراً يَوْماً واحِداً، فَلِمَ حَدَثَ ذَلِكَ ؟

كانَ فوغ يَتَحَرَّكُ نَحْوَ الشَّرْقِ دائماً أثْناءَ قِيامِهِ بِرِحْلَتِه، فَقَدْ غادَرَ إنْجِلْترا وَاتَّجَهَ إلى الهِنْدِ، ثُمَّ ذَهَبَ إلى هونغ كونغ .

أيْ أنَّهُ كانَ يَتَّجِهُ نَحْوَ الشَّرْقِ في حينِ أنَّ الشَّمْسَ تَتَحَرَّكُ نَحْوَ الغَرْبِ .

أيْ أنَّها تَتَحَرَّكُ سَريعاً وَلكِنْ في عَكْسِ الاتِّجاهِ الَّذي يَسيرُ فيهِ فوغ، مِمّا أدّى إلى أنْ يَفْقِدَ فوغ ثَمانِيَ عَشْرَةَ دَقيقَةً كلَّ يَوْمٍ .

أيْ أنَّ الأيّامَ الَّتي قَضاها في رِحْلَتِهِ كانَتْ أقْصَرَ مِنَ الأيّامِ في إنْجِلْترا؛ وَلِهَذا لَمْ يَقْضِ فوغ ثَمانينَ يَوْماً خِلالَ رِحْلَتِهِ ، بَلْ قَضى تِسْعَةً وَسَبْعينَ يَوْماً.

وَكانَتْ ساعَةُ پاسپارتو تُشيرُ إلى تَوْقيتِ لَنْدَن بِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، وَكانَتْ دائِماً مُتَأخِّرَةً عَنْ تَوْقيتِ باقي أفْرادِ الرِّحْلَةِ ، وَقَدْ تَنَقَّلَتْ مَجْموعَةُ فوغ بَيْنَ عِدَّةِ أماكِنَ مُخْتَلِفَةٍ ، وكانَ لِهَذِهِ الأماكِنِ تَوْقيتُها المُخْتَلِفُ ، وَهُوَ الأمْرُ الَّذي شَرَحَهُ سير فرانسيس لِپاسپارتو، وَلَكِنَّ پاسپارتو مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَضْبِطْ ساعَتَهُ .

وَفي الثّالِثِ وَالعِشْرينَ مِنْ نوفِمْبر، كانَتْ مَجْموعَةُ فوغ في مُنْتَصَفِ الطَّريقِ ، عِنْدَما ألْقى پاسپارتو نَظْرَةً عَلى ساعَتِهِ الَّتي كانَتْ تُشيرُ إلى الوَقْتِ الصَّحيحِ ، مَعَ أنَّها كانَتْ مُتَأخِّرَةً اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ساعَةً عَنْ تَوْقيتِ فوغ وَمَجْموعَتِهِ ؛ لأنَّ ساعَةَ پاسپارتو كانَتْ تُشيرُ دائِماً إلى تَوْقيتِ لَنْدَن .

وَانْتَهَتِ الرِّحْلَةُ في إنْجِلْترا ، وَأصْبَحَتْ ساعَةُ پاسپارتو تُشيرُ الآنَ إلى التَّوْقيتِ المَضْبوطِ .

وَكانَ فوغ قَدْ أنْفَقَ ١٩ ألْفَ جُنَيْهٍ خِلالَ الرِّحْلَةِ ، فَأعْطى لِپاسپارتو ألْفَ جُنَيْهٍ ، كَما أعْطى لِفيكس أيْضاً ألْفَ جُنَيْهٍ وَهُوَ يَتَذَكَّرُ أنَّهُ ضَرَبَ هذا الرَّجُلَ في وَقْتٍ مِنَ الأوْقاتِ .

وَسَدَّدَ باسبارتو قيمةَ تَكْلِفَةِ الغاز .

وَفي هَذا المَساءِ تَحَدَّثَ فوغ مَعَ أودا الجَميلَةِ ، وَسَألَها :

« هَلْ ما زِلْتِ تُريدينَ الزَّواجَ مِنّي ، يا عَزيزَتي ؟»

أجابَتْهُ أودا بِصَوْتِها العَذْبِ :

« أنا الَّتي يَجِبُ أنْ أسْألَكَ هَذا السُّؤالَ ؛ لأنَّكَ كُنْتَ رَجُلاً فَقيراً ، وَلَكِنَّكَ الآنَ رَجُلٌ غَنِيٌّ ، فَهَلْ ما زِلْتَ تُريدُ الزَّواجَ بِفَتاةٍ فَقيرَةٍ ؟»

سَألَها فوغ :

« وَلَكِنْ ما الَّذي جَعَلَني غَنِيًّا ؟ وَلِماذا لَمْ أخْسَرِ الرِّهانَ ؟ أ لا تَذْكُرينَ ؟ إنَّكِ كُنْتِ مُسْتَعِدَّةً لِلزَّواجِ مِنّي ، لِذا أرْسَلْتُ باسبارتو إلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ وِيلْسُون ، وَهَكَذا عَلِمَ بِأمْرِ تاريخِ اليَوْمِ ، وَحَصَلْتُ عَلى نُقودي مِنْ هَؤُلاءِ الرِّجالِ الخَمْسَةِ، وَأنْتِ يا أودا الَّتي حَصَلْتِ لي عَلى هَذِهِ النُّقودِ .»

قالَتْ أودا :

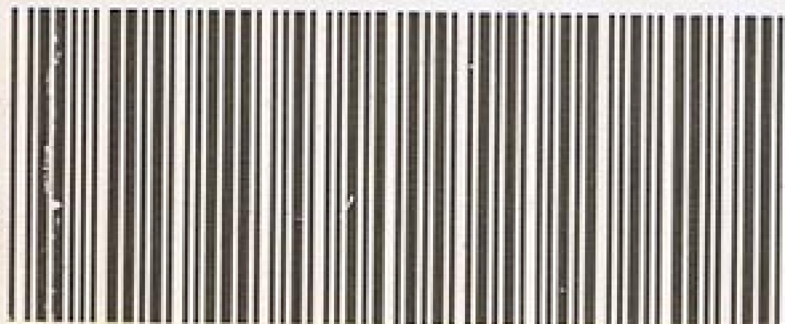
« سَيِّدي فوغ العَزيز .»

« أودا العَزيزَةُ .»

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ أنْهى السَّيِّدُ وِيلْسُون إجْراءاتِ زَواجِ فوغ بِأودا. وَكانَ باسبارتو يَنْظُرُ إلَيْهِما وَقَلْبُهُ يَرْقُصُ فَرَحاً .



المغامرات المثيرة



مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل